الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة محمد بوضياف المسيلة
كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
قسم: التاريخ

الموضوع

البحرية في الغرب الإسلامي عهد المرابطين والموحدين (448هـ-1056م / 668هـ-1269م)

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر في التاريخ الوسيط

من إعداد الطالبة:
مباركة عيواز

إشراف الدكتور:
عبد الغني حروز

السنة الجامعية: 1438هـ-1439هـ/2017-2018

إهداء

إلى أمي التي علمتني التسامح وأشبعتني حنانا....

إلى والدي رحمه الله الذي علمني كل شيء وعلمني معنى الصحبة والحيرة....

إلى أمي الثانية أختي رحمها الله التي شهدتني أمشي وعلمتني الأبجدية

إلى إخوتي أخواتي.

إلى طفلي وسيم الذي علمني معنى الأمومة والحنان، علمني الخوف والطمأنينة علمني الراحة التعب والمقاومة....

إلى زوجي الذي تحمل معي كل الأعباء وكان لي خير معين.

شكر وعرفان

عرفانا بالجميل وصدق المعونة أتقدم بالشكر إلى كل من ساعدني في هذا الإنجاز من قريب أو من بعيد وأخص بالذكر الأستاذ المشرف، الأستاذ الدكتور: عبد الغني حروز، على صبره وتوجيهاته وإرشاداته ونصائحه في شتى الجوانب.

كما اشكر وجزيل الشكر الأستاذ القدير لخضر بولطيف الذي لم يبخل على أي أحد وفي أي وقت وكان صدرا رحبا ونبعا فائضا بالعلم على جميع من يقصده.

وصلي اللهم وبارك على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم.

-مباركة عيواز-

مقدمة

مقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله.

أما بعد، إن من يدرس تاريخ العرب ويمعن النظر فيه وفيما خلفوه من تراث زاخر وغني تستوقفه فيه نواح مجيدة من نواحي حضارتهم التي تثير الإعجاب وتبعث على الإكبار والإجلال.

فقد نشأ العرب وترعرعوا على رمال الصحراء وفيها برعوا وذاع صيتهم فاتخذوا من رمالها وطاءا ومن سمائها غطاءا فألقوا من العيش أخشنه ومن الحياة اقساها فانتشروا في البر وعلموا خباياه ودهاليزه، فلم يثني عزيمتهم وإصرارهم هول البحر فركبوه وتعودوا عليه وبلغوا رسالتهم واخضعوا أمما لحكمهم واستفادوا من خبراتها لصالحهم فأنشاوا الجواري وأكثروا الأشرعة ودورها ووسعوها بالعتاد والمقاتلة واتجهوا صوب أمم البحار حاملين رسائل العدل والحرية والإسلام.... وبعد أن كانوا سادة البر أصبحوا أمراء البحر بلا منازع أحقابا طويلة.

وفي إطار هذا السياق جاء عنوان هذه الدراسة: البحرية في الغرب الإسلامي عهد المرابطين والموحدين. نموذجا.

تهدف هذه الدراسة إلى تسليط الضوء على مجموعة من الآراء والاستفهامات كان أهمها واردا في الاشكالات التالية:

- ما طبيعة وحالة البحرية في الغرب الإسلامي؟ وكيف انتقلت إليهم؟
- كيف كان أهل الغرب الإسلامي قبل تمرسهم ركوب البحر؟

- هل كان لابد لهم من خوض غمار البحر على الرغم من طبيعتهم؟ وما هي أسباب ذلك؟
- هل كانت البحرية في الغرب الإسلامي ذات مكانة بين نظيراتها في العالم آنذاك؟
- وهل حققت ما تصبوا إليه؟
- هل كان للمسلمين عِزٌ وشأن مثلما كان لهم في الصحراء؟

أهمية الدراسة

جاءت هذه الدراسة مواكبة للوضع الحالي الذي تعيشه الأمة العربية والمسلمة عموما من تخاذل وضعف وسقوط، وربما كانت هذه الدراسة استوقافا وبعثا للأمل واستذكارا للأمجاد وأخذا للعبر والدروس، بالإضافة إلى أن هذه الدراسة ربما وإلى حد بعيد أتت لإماطة اللثام وإسدال الستار عن فترات هامة من تاريخ الإسلام بالمغرب لنأخذ ونستلهم منها ونأخذ القوة، كما تُبرز لنا نقاط الضعف وكيف تداركها العرب المسلمون آنذاك.

منهج الدراسة

ولدراسة هذا الموضوع ونظرا لطبيعته وأحداثه استوجب الأمر تداخل عدة مناهج كان أهمها المنهج التاريخي والمنهج السردي الوصفي، والمقارن، فالتاريخي كان من خلال العودة إلى المصادر المختصة وأحيانا المعاصرة من أجل تتبع الأحداث وتقصيها حسب وقوعها تاريخيا زمانيا. أما اعتمادنا على المنهجين السردي والوصفي فكان ذلك من خلال سرد بعض الوقائع ووصف طريقة حدوثها وكذا نتائجها التي لا طالما كانت حتمية لبعض الظروف والعوامل وبالتالي وجب تقصيها وسردها عن طريق وصفها وتتبع نقاط حدوثها، والمقارن كانت في نهاية الدراسة من خلال مقارنة أحد الفنون وهو فن الحصار الذي برع فيه الموحدون أكثر ومحاولة تفسير ذلك.

خطة الدراسة

بناء على ما توفرت لدي من مادة علمية وعلى ما استطعت استخراجه من المصادر والمراجع فقد إنبنت الخطة على التقسيم التالي:

المقدمة: تضمنت مدخلا حرا يليها عنوان الموضوع مع تحديد حقبة الدراسة ثم أهمية الموضوع وإشكالية ودوافع اختياره، بالإضافة إلى المنهج المتبع ثم خطة الموضوع فعرض وتحليل مختصر لأهم المصادر والمراجع المعتمدة في البحث، منتهية بالصعوبات والعراقيل التي واجهتني.

أما الفصل التمهيدي: فقد جاء كمدخل عام للموضوع استعرضنا فيه أهمية بحر الروم وحوضية الشرقي والغربي على اعتباره المركز الذي دارت فيه الأحداث والنزاعات ثم تطرقت فيه إلى الأسباب التي دفعت العرب إلى ركوب البحر، ثم تكلمنا عن قيام البحرية بالمشرق الإسلامي وإنجازاتها العظيمة الباهرة وانتصاراتها البحرية إلى الغرب الإسلامي، فتناولنا البحرية على عهد الأغالبة (184هـ/800م) والفاطميين (296هـ/361م)، ليليهم خلفاؤهم، الزيريون الذين اهتموا بالبحر وأنشأوا اسطولا ضخما، ثم تأتي الدولة الحمادية وقاعدتها بجاية التي تعتبر صرحا هاما للبحرية آنذاك، ثم تحدثنا عن الأندلس والبحرية في عهد دويلاتها المتناثرة، ثم أشرنا في نهاية هذا الفصل إلى ظهور دولتي المرابطين والموحدين اللتين ستظطلعان بالمهمة الملقاة على عاتقهما ومحاولة تكوين واصطناع بحرية إسلامية في الحوض الغربي من بحر الروم.

أما الفصل الأول: فجاء تحت عنوان: البحرية في عهد المرابطين (448هـ-541هـ/ 1056م-1147م) فتناولنا فيه نشأة دولة المرابطين والظروف المحيطة بها وكذا أصلها بالولوج إلى أهم الروايات التاريخية التي تناولت أصل المرابطين وموطنهم وإطارهم الجغرافي وأهم التسميات والألقاب التي عرف بها المرابطون حسب ورودها في المصادر والمراجع، ثم

تناولنا أسس الدعوة المرابطية وكيف أنها كانت منهجا للتغيير والإصلاح الديني والاجتماعي قبل أن تتحول إلى مشروع سياسي طموح ثم تطرقنا إلى المظاهر والجوانب الحضارية لدولة المرابطين فتكلمنا عن طبيعة الصحراء وما تتوفر عليه من نبات ومنتوج وصناعات بالإضافة إلى طبقات مجتمع الملثمين وحالهم وعرجنا كذلك على الجانب التعليمي وكيف أن العقيدة الإسلامية الدينية لدولة المرابطين استطاعت أن تقضي على المذهبيات الفكرية الضالة، وفي عنصر آخر وهو الأهم تكلمنا عن البحرية في العهد المرابطي وبدايتها الأولى وكيف نشأت على يد يوسف بن تاشفين وتوسعت فيما بعد لتمتلك الدولة اسطولا مهيبا حقق عدة انتصارات وخصصنا هذه الأخيرة في عنوان الأسطول المرابطي في الأندلس والجزر الشرقية اي دوره والمهام والانتصارات التي قام بها في هاته المناطق على الأمم النصرانية الفرنجية ثم خصصنا عنصرا آخر منوط كذلك بالدور الريادي للأسطول المرابطي وهو حماية السواحل المغربية من الأطماع النورمانية، ثم تطرقنا في النهاية إلى النظم البحرية في العهد المرابطي من قيادة للأسطول، الجيش البحري وأسلحته ثم الصناعة البحرية وأنواع السفن وعرجنا للحديث عن إدارة المعركة البحرية وطرق الاستعداد والإعداد لها.

أما الفصل الثاني: فجاء تحت عنوان: البحرية في عهد الموحدين: (541هـ-668هـ/1147م-1269م)، عالجنا في هذا الفصل نشأة الدولة الموحدية من حيث الأصل والتسمية وبداية الدعوة على يد الإمام محمد بن تومرت والجهود التي بذلها من أجل التمكين لدعوته، ثم تحدثنا عن مرحلة التوسع على يد الخليفة عبد المؤمن بن علي والدور الريادي الذي لعبه ثم الجهود التي بذلها في سبيل بناء صرح الدولة الموحدية وتدعيمها بأسطول وبناء دور الصناعة للتمكين لدولته الناشئة التي استطاع من خلالها فتح العديد من المناطق وضمها لدولته فدانت له جل أراضي المغرب، لنتطرق فيما بعد إلى التحدث عن البحرية في عهد الموحدين وجهود عبد المؤمن العسكرية والتدعيمات الحثيثة من أجل تقوية الجيش والقادة، وكذا الأسطول الذي استطاع من خلاله بسط سيادته ومن بعده الخلفاء على الحوض

العربي للمتوسط، ثم أخذنا في تناول الصراع بينه وبين ابن مردنيش، صاحب الجهة الشرقية للأندلس وصراعه كذلك مع بني غانية الذين لطالما وقفوا شوكة في حلق الموحدين، ثم يتواصل هذا الصراع إلى حين تقلد ابنه أبي يعقوب يوسف وحفيده أبي يعقوب المنصور الذي عرفت البحرية في عهده ازدهارا كبيرا لتنطفئ شعلة الدولة الموحدية بقدوم الخليفة أبو عبد الله الناصر محمد بن يعقوب المنصور وواقعة العقاب سنة 609هـ/1212م التي لم تقم للمسلمين بعدها قائمة واندثار الأندلس، التي سيقوم فيما بعد من يحاول إنقاذها غير أنها محاولات فاشلة غلب عليها الطمع والجشع والتآمر والمصالح. ثم نتطرق إلى النظم البحرية من قيادة الأسطول والجيش وأركانه وأسلحته، والصناعة البحرية وأنواع السفن لنختم هذا الفصل بإحداث مقارنة في جانب وأسلوب من أساليب البحر وهو فن الحصار الذي برع فيه الموحدون.

عرض المصادر والمراجع

اقتضت طبيعة الموضوع الرجوع إلى مجموعة متنوعة من المصادر والمراجع كان أهمها: كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر لابن خلدون الذي يعتبر من المصادر الهامة المؤرخة لبلاد المغرب خاصة الجزء السادس فهو يتناول تاريخ بلاد المغرب ويسرد لنا الأخبار والحقائق والترتيب وقد تناول التاريخ المرابطي والموحدي بشيء من التفصيل، وكذلك المقدمة والجزء الثاني منه، ضف إلى هذا كتاب الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، لابن أبي زرع الفاسي، حيث استمدت منه وكثيرا فقد كان يعرض الأحداث بطريقة متسلسلة ومرتبة حسب وقوعها مما سهل علينا فهم الأحداث وسهولة ربطها، وكذلك كتاب البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب لابن عذارى المراكشي وكتاب الكامل في التاريخ لابن الأثير وكتاب الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية لمؤلف مجهول من أهل القرن 8هـ/14م، وهو من أهم الكتب التي تتناول تاريخ

دولتي المرابطين والموحدين وبالتفصيل وهو يعالج القضايا والأحداث بطريقة حيادية وموضوعية.

هذا عكس ما لمسناه عند استخدامنا لكتاب أخبار المهدي بن تومرت وبداية دولة الموحدين للبيذق الذي كان منحازا لسيده ابن تومرت، غير أنه يعتبر من الكتب الأولية والهامة التي تأريخ لدولة المرابطين والموحدين، وكتاب نظم الجمان لترتيب ما سلف من أخبار الزمان لصاحبه ابن القطان (كان حيا سنة (650هـ/1252م) وتكمن أهميته في أنه كان قريبا زمانيا من فترة المرابطين وكان على صلة بالخلفاء الموحدين والذي كان في كثير من الأحيان منحازا اليهم غير أنه يعتبر من أهم المصادر.

بالإضافة إلى كتب أخرى مثل المعجب في تلخيص أخبار المغرب لعبد الواحد المراكشي وكتاب المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب لأبي عبيد الله البكري الذي يعد هو الآخر مفصلا لتاريخ بلاد المغرب وجغرافيتها إلى جانب الإدريسي في نزهة المشتاق في اختراق الآفاق وكتاب فتوح البلدان للبلاذري وابن غلبون في التذكار وهو كذلك كتاب مهم ويشبه روض القرطاس من حيث سرد الأحداث وتتابع تسلسلها، والسلاوي في الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى، نفح الطيب في غصن الاندلس الرطيب للمقري الجزء الرابع....هذا بالإضافة إلى مصادر أخرى ومراجع كانت تآنسنا طيلة قيامنا بالبحث أبرزنا: يسرى الجوهري في كتاب جغرافية البحر المتوسط الذي استفدنا من خلال إبرازنا لأهمية بحر الروم وحوضيه الشرقي والغربي، وكتاب تاريخ البحرية الإسلامية في المغرب والأندلس للسيد عبد العزيز سالم وأحمد مختار العبادي الذي كان أنيسنا طيلة إعدادنا للبحث فقد رسم لنا الطريق المتبع لإنجاز هذا العمل إلى جانب النقاط المحورية، وكتاب الأندلس من الفتح العربي المرصود إلى الفردوس المفقود لعصام محمد شبارو واستفدنا منه خلال الحديث عن أحوال الأندلس وانتقال الخلفاء المغاربة إلى الأندلس بغية رسم الجهاد وأعمالهم هناك، وسانده في ذلك المستشرق يوسف أشباخ في كتاب تاريخ الأندلس في عهد المرابطين

والموحدين، ج1، ج2، الذي كان مهما كذلك غير أنه كان أحيانا متحاملا على بعض الوقائع والأحداث، ومحمد علي الصلابي في كتابيه تاريخ دولة المرابطين والموحدين في الشمال الإفريقي، والجوهر الثمين لمعرفة دولة المرابطين، والذي استفدنا منهما أعظم الاستفادة خاصة في بداية الحديث عن الدعوة المرابطية.

وسعدون عباس نصر الله في كتابه الدولة المرابطية في المغرب والأندلس، وعبد الهادي التازي وكتابه التاريخ الدبلوماسي للمغرب من أقدم العصور إلى اليوم –عهد المرابطين– وفتحي زعزوت في كتابه الجيوش الإسلامية وحركة التغيير في دولتي المرابطين والموحدين والذي أفادننا من بداية البحث إلى نهايته وعز الدين عمر أحمد موسى: دراسات في تاريخ المغرب والأندلس وكتاب الموحدون في الغرب الإسلامي تنظيماتهم ونظمهم والذي كانا كتابين ثريين بالمعلومات وكذا الدقة في السرد والتسلسل، وأحمد مختار العبادي في تاريخ المغرب والأندلس، وإبراهيم حركات: المغرب عبر التاريخ الجزء الأول منه، ومحمد عبد الله عنان في كتابه دولة الإسلام في الأندلس –عصر المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس، وكتابه أيضا مواقف حاسمة في تاريخ الإسلام واللذين اتسما بالموضوعية وقوة التحليل والشرح والاستنتاج، وكتاب دراسات وبحوث في تاريخ المغرب والأندلس في جزئه الثاني لصاحبه أمين توفيق الطيبي، وكتاب علاقات الموحدين بالممالك النصرانية والدول الإسلامية في الأندلس لصاحبه هشام أبور ميلة، وعصمت عبد اللطيف دندش وكتابه الأندلس في نهاية المرابطين ومستعمل الموحدين وكتاب ارشيبالد لويس: القوى البحرية والتجارية في حوض البحر المتوسط وقد استفدنا منه كثيرا من خلال تطرقنا إلى نشأة البحرية في المشرق ورصده لتلك الانتصارات السابقة للعرب، على الرغم من أنه كان هو الآخر متحاملا أحيانا. وإلى جانب هذه المراجع وأخرى استعنا ببعض الدراسات الأكاديمية من رسائل جامعية ومجلات وأطالس، يمكن الرجوع إليها في قائمة المصادر والمراجع.

صعوبات الدراسة

أثناء قيامنا بإعداد هذا الموضوع واجهتنا واعترضت طريقنا مجموعة من العراقيل والصعوبات كان أبرزها:

- عدم توفر المراجع اللازمة نظرا لنقص إمكانياتنا.
- عدم إشارة المصادر والمراجع التي بين أيدينا إلى نشاط البحرية في عهد يوسف بن تاشفين وعدم وجود أي وصف وسرد لمعارك بحرية وقعت إلا القليل مما صعب مهمة التنسيق واستنباط العناوين وصياغتها.
- صعوبة حصر بدايات كل فصل ذلك أن الفصل التمهيدي كان الحديث فيه عن البحرية في المشرق وانتقالها إلى المغرب فأوجد لدينا ذلك صعوبة من حيث اقتطاع المعلومات وقصها لأخذ ما هو لازم فقط كنا نرى دائما أن تلك الأحداث المقطوعة مهمة، أما فيما يخص الفصل الأول والثاني فالبداية كانت صعبة لأنها كانت دينية ووجب الحديث والانتقال من العام إلى الخاص أي الحديث عن تكوُّن دعوة ثم كيف تبلورت وأصبحت في الأخير مشروعا سياسيا يهدف إلى إنشاء دولة.

الفصل التمهيدي

نشأة البحرية في المشرق وانتقالها إلى بلاد المغرب

يعتبر بحر الروم مركز إشعاع حضاري.[1] وبحوضيه الشرقي والغربي المحور الذي دارت عليه أحداث النزاع بين قوى العالم الكبرى، من أجل السيطرة وفرض الهيمنة على القوى المعادية بشتى الوسائل، ويرجع سبب تأزم الوضع وتأجج الصراع إلى مكانة بحر الروم الاستراتيجية بإطلالته وإشراقه على قارات إفريقيا أوروبا وآسيا وأمريكا عبر مضيق جبل طارق، بالإضافة إلى كونه ملتقى التجارة العالمية وشريانها.[2] كما يتخلله عدد كبير من الجزر كان أغلبها بؤرا للتوتر والسيطرة السياسية والحربية ومناطق للنزاع بين الدول صاحبة المصلحة بها، ففي الضفة الغربية منه كانت هناك جزر البليار، كورسيكا، مالطا، بانتلاريا وصقلية، أما على الجهة الشرقية فكانت كورفو، كريت ورودس هذا وما لهذه الجزر من أهمية، وجب أن لا ننسى ونغفل عامل المناخ فالبحر المتوسط كان ذا مناخ معتدل وفي نفس الوقت متنوع أي أن هناك اختلاف وكثافة من جانب النبات والتنوع فيه.[3] هذا ما جعل كل القوى تتراءى لها الأسماع والأنظار وتطمح وتطمع للسيطرة على هذه المنطقة.

وبطرق برية استطاع الفاتحون تقويض دعائم وأملاك الدولة الفارسية بضمها إلى أملاك الرقعة الإسلامية في المشرق.[4]

ورأوا أنه لحماية هذه الأملاك لابد لهم من تحصين وحماية هذا النصر عن طريق العمل والجهاد في الجهة المقابلة منه، وأن السيطرة على هذه الأخيرة هو بلا شك الحل الوحيد للمحافظة على انتصاراتهم وكذا المناطق التي قاموا بفتحها لتأمين حمايتها.

غير أنه لم يكن للمسلمين في بداية أمرهم من كل هذه القوة والمنعة التي قاموا باصطناعها فيما بعد وفي أمد وجيز جدا، فقد كان لتحكمهم بهذا الشكل وبهذه البراعة في

---

[1] يسرى الجوهري: جغرافية البحر المتوسط، د.ط، منشأة المعارف، الإسكندرية، 1984، ص05.

[2] توفيق مزاري عبد الصمد: الجهاد البحري في عهد المرابطين والموحدين، أطروحة دكتوراه، جامعة الجزائر، الجزائر، 1428-1429هـ/2007-2008م، ص04.

[3] يسرى الجوهري: المرجع السابق، ص ص17، 18، 19، 22.

[4] توفيق مزاري: المرجع السابق، ص04.

طرق وآليات البحر أمجادهم وانتصاراتهم العظيمة الخالدة، وقبل هذا فقد كان العرب أهل بر يسكنون البوادي.[1]

وكانوا لا يعرفون من الطرق إلا البرية منها بحكم تجارتهم ومعرفتهم الواسعة بدروب الصحراء وما لطبيعة هذه الأخيرة التي لم تكن لتسنح لهم بركوب البحر والتعود على فنونه وممارسة أعواده وعلومه.

ضف إلى ذلك أن بلادهم صحراوية تندر فيها الأشجار التي تصلح أخشابها لصناعة السفن القوية وأن بلادهم باستثناء –جبال اليمن–تخلو من معدن الحديد اللازم لصناعة المراسي والمسامير ومن الزفت والقطران.[2]

كما تخلو من النباتات التي تصنع منها حبال السفن ثم إن الملاحة في البحر الأحمر كانت تكتنفها الصعوبات لكثرة الصخور والشعاب المرجانية.[3]

وقد كان لظهور الإسلام وما له من أهداف سامية في بداية أمره من تحقيق للوحدة والتآلف والحفاظ على الطرق التي جعلت من أمة الإسلام أمة قوية مرهوبة الجانب خاصة عصر الفتوحات.

وهو زمن بلغت فيه أوج عزتها ومنعتها في أقل من قرنين من الزمان –من ظهور الإسلام–تغلبت فيه على دول ذات تاريخ وحضارة وامتد ملك العرب خلاله من أطراف

---

[1] جواد علي: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ط2، مكتبة الإسكندرية، د.م، 1413هـ/1993م، ج7، ص245.

[2] السيد عبد العزيز سالم وأحمد مختار العبادي: تاريخ البحرية الإسلامية في المغرب والأندلس، د.ت، د.ط، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، 1969، ص14.

[3] السيد عبد العزيز سالم: تاريخ الإسكندرية وحضارتها في العصر الإسلامي، د.ت، د.ط، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 1982، ص63.

الصين شرقا إلى مشارف بحر الظلمات (المحيط الأطلسي) غربا وطرقت أساطيلهم أبواب إيطاليا وفرنسا.[1]

وإنه ومن جانب الحفاظ على تلك الانتصارات البرية وجب تعزيزها من جانب البحر هذا الأخير الذي وردت آليات قرآنية تشير إلى فوائد ركوبه وكذا منافعه الجليلة سواء من جانب المغنم أو من جانب الشهادة فيه وما من فضل لراكبه عند الله حيث يقول تعالى في محكم تنزيله: "قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى سَخَّرَ ٱلْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا۟ مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا۟ مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا ۖ وَتَرَى ٱلْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٤﴾﴾".[2]

ومما دفع العرب إلى الجهاد البحري حاجتهم للدفاع عن فتوحاتهم التي جاهدوا بأموالهم وأرواحهم في سبيلها، فقد خرج العرب المسلمون من الجزيرة العربية فاتحين ينشرون دينهم وحضارتهم،[3] فأعدوا للكافرين كلما استطاعوا من عدة وعتاد وأنفس بغية الجهاد في سبيل الله ونشر الرسالة وإعلاء كلمة الحق متبعين في ذلك قوله تعالى: "قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَأَعِدُّوا۟ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِن شَىْءٍ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴿٦٠﴾﴾"،[4]

وقد كان لهذا الحماس والجهاد في أنفس المسلمين يغذيه طابع الجهاد والحرية والعزة لدين الله وكذا ابتغاء الأجر والثواب وصاروا يروون أحاديث عن الرسول تتضمن معنى الحث عن الجهاد في البحر حتى بلغت بهم الحماسة إلى ركوب النساء البحر "أم حرام" زوجة أحد الصحابة التي لقيت حتفها في غزوة بحرية في قبرص، وقيل أنه لما غزا الأسطول الإسلامي القسطنطينية كان أحد أولاد الخليفة عمر حاضرا فسأل أمير البحر عن ذنوب الغزاة المجاهدين فأجابه الأمير "إن آثامهم معلقة في أعناقهم" فأجابه ابن عمر "والذي نفسي بيده

---

[1] وفيق بركات: فن الحرب البحرية في التاريخ العربي الإسلامي، د.ط، منشورات جامعة حلب، حلب، 1416هـ/1995م، ص ص 6، 7.

[2] القرآن الكريم: سورة النحل، الآية 14.

[3] وفيق بركات: المرجع السابق، ص177.

[4] القرآن الكريم: سورة الأنفال، الآية 60.

لقد تركوا آثامهم على الشاطئ" وعزو إلى الرسول صلى الله عليه وسلم أنه قال: "إن الجهاد في البحر فيه عشرة أمثال أجر الجهاد في البر".[1]

وقال صلى الله عليه وسلم: "من فاته الغزو في البحر فليغزُ معي".[2]

وإنه من أهم ما دفع العرب إلى التحول نحو البحر حاجتهم للدفاع عن الأملاك الجديدة التي كسبوها، حقيقة أنهم ملكوا البر ولكن البحر كان لا يزال في قبضة البيزنطيين.[3] الذين لطالما أحكموا السيطرة والسيادة على البحر الأبيض المتوسط بلا منافس فعلى شواطئه الشمالية امتدت أملاكهم إلى شبه جزيرة البلقان والجزر الملحقة بها وآسيا الصغرى، ومن الشرق كانت تتبعها سورية وفلسطين، ومن الجنوب مصر وشمالي إفريقية، كذلك امتد سلطانها السياسي إلى وسط وجنوبي إيطاليا، وقد كان لبيزنطة أسطول دائم ومهيب وعدة قواعد بحرية ودور لصناعة السفن في القسطنطينية وعكا والإسكندرية وقرطاجة وسرقوسة بصقلية ورافانا بإيطاليا، هذا بالإضافة إلى السفن التجارية التي تستخدم في عمليات نقل الجند والامدادات، وكانت تتحكم في منافذ البحر الأبيض: كالقسطنطينية ومصر وسبتة مما استحال معه دخول أية تجارة خارجية إلى هذا البحر دون موافقتها.[4]

فلقد ظلت بيزنطة تتقاسم العرب أجزاء كبيرة من هذا الحوض وحتى فترة متأخرة من العصر الوسيط،[5] حيث استطاعوا بحملة بحرية استعادة الإسكندرية واستلزم الأمر قتالا عنيفا لإجلاء هذه القوة من الإسكندرية عندها أمر عمر بن العاص والي مصر بهدم حصونها – الإسكندرية–لكي لا يتمكن البيزنطيون من الصمود أمام قواته البرية مرة أخرى، وشابه الحال

---

[1] وفيق بركات: نفسه، ص178.

[2] توفيق مزاري: المرجع السابق، ص29.

[3] أرشيبالد، ر، لويس: القوى البحرية والتجارية في حوض البحر المتوسط، ترجمة ومراجعة: أحمد محمود عيسى ومحمد شفيق غربال، د.ط، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، د.ت، ص89.

[4] سامي بن عبد الله بن أحمد المغلوث: أطلس الخليفة عثمان بن عفان، ط1، مكتبة العبيكان، الرياض، 1427هـ/2006م، ص149.

[5] محمود أحمد أبو صوة: دراسات في تاريخ البحر الأبيض المتوسط في العصر الوسيط، د.ط، منشورات ELGA، فاييتا، مالطا، 2000، ص7.

كذلك في سورية ومصر إذ سرعان ما أدرك معاوية والي سورية ضعف سلطانه عليها أمام قوة أسطول بيزنطة القريب من شواطئ سورية.[1]

وفي خضم هذا الوضع الراهن وتقدم الخطر البيزنطي منهم أصبحت حركاتهم بمثابة حروب وقائية دفاعية وجب من خلالها الدفاع والذود عن انتصاراتهم السابقة لكي يمضوا قدما في خططهم الجديدة في إطار الحوض الغربي من البحر المذكور.

ومن أجل تثبيت الفتح على السواحل ولمقاومة خطر البحرية البيزنطية قام معاوية،[2] بوضع خفراء غير عرب على الشواطئ جاء بهم من بعلبك وحمص وأنطاكية وحوالي عام 663م جاءت جماعات من الأعوان الفرس فأقامت في صيدا وبيروت وجبيل وطرابلس وعرقة للدفاع عن البلاد ضد الغزوات البيزنطية.[3]

ونظرا لأن الصراع العسكري مع البيزنطيين بأحد وجهيه كان بحريا أدرك معاوية أهمية بناء أسطول إسلامي يهدف إلى:

---

[1] أرشيبالد لويس: المرجع السابق، ص89.

[2] **معاوية بن أبي سفيان:** صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي الأموي أبو عبد الرحمان، شهد حنين وكان من المؤلفة قلوبهم، روي له عن الرسول صلى الله عليه وسلم 163 حديث، بقي خليفة عشرين سنة، **يراجع:** جلال الدين عبد الرحمان بن أبي بكر السيوطي: تاريخ الخلفاء، ط2، مطبوعات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر، 1434هـ-2013م، ص325؛أمه هند بن عتبة بن ربيعة وأسلم معاوية قبل أبيه في عمرة القضاء ولي إمرة الشام لعمر ثم لعثمان ثم نازع عليا الخلافة حتى وليها من بعده في سنة أربعين للهجرة، وهو كاتب النبي صلى الله عليه وسلم وأظهر إسلامه يوم الفتح وكان رجلا طويلا أبيضا جميلا مهيلا، **ينظر:** جمال الدين **الأتابكي:** النجوم الزاهدة في ملوك مصر والقاهرة، تقديم وتعليق: محمد حسين شمس الدين، د.ط، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، د.ت، ج1، ص200.
ويرى صاحب كتاب الأنباء في تاريخ الخلفاء أن كنيته –معاوية– أبو عبد الرحمان بويع له سنة إحدى وأربعين في جمادى الأولى وكانت مدة خلافته 19 سنة، وثلاثة أشهر توفي في دمشق، في رجب سنة 60 هـ وعمره ثمانون سنة، **ينظر:** محمد بن علي بن محمد المعروف بابن **العمراني:** الإنباء في تاريخ الخلفاء، تحقيق وتقديم: قاسم السامرائي، ط1، دار الآفاق العربية، القاهرة، 1419هـ/1999م، ص49.

[3] مسعود الخوند: الموسوعة التاريخية الجغرافية، د.ط، لبنان، ج9، ص350.

- الدفاع عن السواحل.
- غزو الجزر البحرية المواجهة لساحل بلاد الشام.
- الدفاع عن المناطق الداخلية المفتوحة.
- استمرار العلاقات التجارية الخارجية مع دول البحر المتوسط.[1]

ولهذه الظروف كان على معاوية أن ينظم أسطولا ويركب البحر بعد أن ولاه الخليفة عمر بن الخطاب،[2] على دمشق مكان أخيه يزيد الذي توفي، فكان تحت إمرته دمشق والأردن ثم حمص وقسرين وفلسطين فاجتمع الشام كله لمعاوية لسنتين من إمارة عثمان.[3]

[1] محمد سهيل طقوس: تاريخ الخلفاء الراشدين الفتوحات والإنجازات السياسية، ط2، دار النفائس، بيروت، لبنان، 1432هـ/2011م، ص379.

[2] عمر بن نفيل بن عبد العُزى بن رياح بن عبد الله بن قُرط بن رزاح بن عدي بن كعب ويكنى أبا حفص وأمه حنتمة بنت هاشم بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن محزوم، وكان الرسول صلى الله عليه وسلم يدعوا دائما "اللهم أعز دينك بعمر بن الخطاب" وكان أهل الكتاب يدعونه بالفاروق وقد شهد عمر بدرا وأحد والخندق والمشاهد كلها مع الرسول صلى الله عليه وسلم وخرج في عدة سرايا وكان أمير بعضها، وقد استخلف عمر سنة 13 هـ بعد موت أبي بكر رضي الله عنه، أول من جمع القرآن في المصحف، وأول من فتح الفتوح فارس، البصرة، الشام، وكور مصر والإسكندرية والموصل...**ينظر**: محمد **بن سعد** بن منيع الزهري: الطبقات الكبرى، تحقيق: علي محمد عمر، ط1، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1421هـ/2001م، ج3، ص249، 254،253،250.

وهو أيضا أول من سمي أمير المؤمنين وأول من أرخ من الهجرة وأول من أمر بصلاة التراويح وأول من وضع الديوان، أسلم في السنة السادسة من النبوة وله سبع وعشرون سنة أحد المبشرين بالجنة، روى له عن الرسول صلى الله عليه وسلم 539 حديث وولي الخلافة سنة 13هـ **ينظر**: السيوطي، المصدر السابق، ص209،208،99، أسلم عمر بعد تسعة وثلاثين رجلا وثلاث وعشرين امرأة، يراجع: أبي الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني ابن الأثير: الكامل في التاريخ، تحقيق: أبي الفداء عبد الله القاضي، ط1، دار الكتب العلمية، لبنان، بيروت، 1007هـ/1987م، ج10، ص602،601. توفي سنة 23 هـ ، السيوطي، نفسه، ص24.

[3] عبد الرحمان بن خلدون: ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، مراجعة سهيل زكار، د.ط، دار الفكر، د.م، 1421هـ-2000م، ج2، ص ص575، 576.

وكان معاوية قد استأذن عمر بن الخطاب في غزو البحر فلم يأذن له.[1] بعد أن كتب هذا الأخير –عمر بن الخطاب– إلى عمرو بن العاص: صف لي البحر وراكبه فكتب إليه "هو خلق كبير يركبه خلق صغير ليس إلى السماء والماء إن ركد فلق القلوب وإن تحرك أزاغ العقول يزداد فيه اليقين قلة والشك كثرة وراكبه دود على عود إن مال غرق وإن نجا برق". فكتب إلى معاوية "والذي بعث محمدا بالحق لا أحمل فيه مسلما أبدا...فإياك أن تعرض لي في ذلك فقد علمت ما لقي العلاء مني".[2] وقال عمر "لا يسألني الله عن ركوب المسلمين البحر أبدا" فكره عمر أن يحملهم في البحر وأمسك عن ذلك.[3] فالخليفة عمر بن الخطاب كان يتهيب على المسلمين ركوب البحر.[4] والسبب في ذلك أن العرب لبداوتهم لم يكونوا مهرة في ثقافته وركوبه والروم والأفرنجة لممارستهم أحواله ومرباهم في التقلب على أعواد مرنوا عليه وأحكموا الدراية بثقافته"، ولم يزل الشأن ذلك حتى إذا كان لعهد معاوية ان أذن للمسلمين في ركوبه والجهاد على أعواده.[5]

ويكون الخليفة عمر بن الخطاب (13هـ–23هـ/634م–644م) بهذا القرار قد أدرك بثاقب نظره أن العرب لا يزالون حديثي العهد بدروب البحر وعلومه هذا ما أدى به في بادئ الأمر إلى تأديب العلاء بن الحضرمي الذي كان على البحرين أيام أبي بكر ثم عزله ثم أعاده وهو الذي ندب الناس إلى غزو فارس فأجابوه وحملهم في البحر إلى فارس بغير إذن من عمر بن الخطاب لأنه كان ينهى عن ذلك خوف الغرق وتعريض المسلمين للهلاك سنة 17هـ،[6] ولوم عرفجة بن هرثمة الأزدي سيد بجيلة لما أغزاه عمان فبلغه غزوه في البحر

---

[1] أبي العباس أحمد بن يحي بن جابر البلاذري: فتوح البلدان، تحقيق، عبد الله أنيس الطباع وعمر أنيس الطباع، د.ط، مؤسسة المعارف، بيروت، لبنان، 1407، 1987، ص ص208، 2010

[2] ابن خلدون: المصدر السابق، ج2، ص576.

[3] ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج3، ص 242، 654.

[4] جواد علي: المرجع السابق، ص244.

[5] ابن خلدون: المصدر السابق، ج1، ص313.

[6] ابن خلدون: المصدر السابق، ج6، ص548.

وإخفاق علقمة بن مجزر المدلجي في حملته البحرية إلى الحبشة سنة 20هـ إذ غرقت سفنه في البحر فكان لهذه الأحداث الأثر العميق والسبب الرئيس وراء رفض الخليفة لخوض المسلمين دروب البحر لعدم إمكانيتهم اللازمة فيه وعدم تمكنهم من أعواده.[1]

ولهذا عمد الخليفة عمر بن الخطاب إلى سياسة دفاعية لمواجهة الخطر البيزنطي فقام بوضع الجنود وتحصين الحصون ووضع الأبراج للمراقبة وتزويدها بمواقد النار لتكون وسيلة اتصال بين المسلمين على امتداد السواحل الشامية.[2] غير أن هذه الإجراءات والوسائل الدفاعية لم تجدي في حماية سواحل الشام من هجمات الروم فقد استطاع الروم البيزنطيون السيطرة على عدد من مدن سواحل الشام–بيروت، جبيل، وعرقة–الأمر الذي دفع عثمان إلى اتخاذ سياسة أكثر فعالية وأكثر ديمومة عبر توطين المرابطة العسكريين في السواحل بشكل دائم وكلي ولهذا أمر عثمان بن عفان معاوية بتحصين السواحل في الشام وترميمها وشحنها بالمقاتلة وأن يقطع من ينزلها من المقاتلة القطائع والأخائذ والأراضي والمنازل التي تركها أصحابها الروم إبان الغزو الإسلامي وأن يبني بها المساجد.[3]

ويبدو أن هذا الخوف النابع من الخليفة عمر لم يكن مدروسا بالقدر الذي كان فيه الخليفة يعرف تمام المعرفة بما للمسلمين من معرفة في البحر فهم ليسوا بذلك القدر من الخبرة التي تمكنهم من الصمود في وجه قوة مرهوبة كقوة تسمى البيزنطيين، وما لهؤلاء من تقلب وخبرة في الملاحة وفي ركوب البحر.

وكان الموقف العمري مرحليا هدفه الاستقرار في الأقاليم والأمصار التي يتم فتحها ولهذا سمح لمعاوية بإقامة نظام الرباط على السواحل التي أصبحت ضمن التعبئة العسكرية

---

[1] عبد العزيز سالم والعبادي: المرجع السابق، ص ص15،16.

[2] طارق محمد العزام ومحمد علي الموسان: "نشأة وتطور الأسطول الإسلامي زمن الخليفة عثمان بن عفان"، **مجلة المشكاة للعلوم الإنسانية والاجتماعية**، العدد1، 1426هـ/2015م، ص59.

[3] نفسه: ص60.

وكانت إرهاص أولي لاصطناع سياسة بحرية على يد معاوية.[1] الذي لم يزل بعثمان بن عفان حتى أذن له بالغزو بحرا وأمره أن يعد في السواحل كما أشرنا آنفا.[2] فغزا قبرص المدينة التي قال عنها صاحب نزهة المشتاق أن المياه في جميع الجهات بها مخترقة عيونها جارية متدفقة وهي فتنة للناظرين،[3] بعد أن حصل على الموافقة من الخليفة عثمان شرط أن لا يرغم أحدا في الركوب إلى البحر أثناء الغزو، كما أمره أن يصطحب معه امرأة فاختة، أي على خيار الناس وطوعهم، فاختار الغزو جماعة من الصحابة فيهم أبو ذر وأبو الدرداء وشداد بن أوس وعبادة بن الصامت وزوجه أم حرام بنت ملحان واستعمل عليهم عبد الله بن قيس حليف بني فزارة وساروا إلى قبرص.[4] وكان معاوية قد جمع لهذه الغزوة عددا كبيرا من سفن مدينة سورية الساحلية وفرقا محاربة من مصر بالإضافة إلى استيلائهم على دور الصناعة البيزنطية في الإسكندرية وسورية بالإضافة إلى سفنهم التجارية وملاحي تلك الثغور الخبيرين بشؤون الملاحة.[5]

هذا وقد وافاه عبد الله بن أبي سرح إليها من الجانب الآخر فالتقيا مع أهلها فقتلوا خلقا كثيرا وغنموا مالا وفيرا، ثم صالحهم معاوية على سبعة آلاف دينار في كل سنة وهادنهم.[6] ويؤدون مثلها للروم ولا منعة لهم على المسلمين ممن أرادهم من سواهم وأن يكونوا عينا

---

[1] توفيق مزاري: المرجع السابق، ص32.

[2] ياسين أحمد صالح الديملي: "دور البحرية الإسلامية في فتح الأندلس"، **مجلة العلوم الإسلامية**، العدد6، 1431هـ، ص57.

[3] أبي عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله بن إدريس المودي الحسين المعروف بالشريف الإدريسي: نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، د.ط، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 1422هـ/2002م، مجلد1، ص596.

[4] ابن خلدون: المصدر السابق، ص576.

[5] أرشيبالد لويس: المرجع السابق، ص90.

[6] عماد الدين أبي الفدا إسماعيل ابن عمر بن كثير القرشي الدمشقي: البداية والنهاية، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، ط1، دار هجر، د.م، 1418هـ،/1998م، ج10، ص229.

للمسلمين على عدوهم وكانت هذه سنة ثمان وعشرين وقيل تسع وعشرين وقيل ثلاث وعشرين.[1]

وقد كان للتعاون البحري بين الأسطول الشامي (معاوية) والأسطول المصري (عبد الله بن سعد)، وبالتعاون مع أهل الخبرة من المصريين الأقباط وخاصة من سكان الإسكندرية حيث كانت توجد دور لصناعة السفن ومنها تخرج الأساطيل إلى قواعد الشام البحرية بمصر وقد كلل التعاون البحري بين مصر والشام بالسيطرة على بعض جزر الحوض الشرقي للمتوسط مثل قبرص – تم الإشارة إليها سابقا[2]– وبعد عام سقطت مدينة "أرواد" في يد قوة برية بحرية من العرب وكانت آخر وأقوى حصن للبيزنطيين على السواحل السورية. وفي سنة 652م قامت حملة من سورية مؤلفة من 200 سفينة وأغارت على جزيرة "صقلية" وعادت بغنائم عظيمة وبعدها وجهت ضد "رودس" ويظهر أن قبرص لم تلتزم شروط المعاهدة عام 28هـ/648م[3] بسبب الضغط الشديد الذي تعرض له سكان قبرص من طرف البيزنطيين وإجبارهم على تزويدهم بالسفن لغزو المسلمين فأخلوا بذلك بنود المعاهدة مما أثار حفيظة معاوية الذي أعد قوة مكونة من 500 سفينة وأعاد فتح مدينة قبرص للمرة الثانية سنة 33هـ/653م بعدها قام بتجهيز جيش من أهل بعلبك ونقله إلى قبرص لحمايتها من تسلط البيزنطيين.[4]

وقد كان لتعاون الأسطولين الشامي والمصري انتصارات حاسمة موثقة جعلت انتصاراتهم على العدو انتصارا مدويا كتب أمجادهم بأحرف من ذهب لدى عدوهم أولا والتاريخ ثانيا.

[1] ابن خلدون: المصدر السابق، ج6، ص576.

[2] توفيق مزاري: المرجع السابق، ص32.

[3] أرشيبالد لويس: المرجع السابق، ص91.

[4] أحمد المغلوث: أطلس الخليفة عثمان بن عفان، ص154.

وذات التعاون ذاك كان وراء الواقعة التي جعلت العرب يدركون أنهم أصبحوا قوة بحرية لها خطرها في البحر المتوسط.

واقعة ذات الصواري التي كانت عام 31هـ في البحر.[1] أعد فيها قنسطانز الثاني خليفة هرقل أسطولا كبيرا تراوح عدده.[2] يومئذ ألف مركب أما قوة المسلمين فقد بلغت مائتا مركب ونيف.[3] وكان الأسطول الإسلامي مشترك بين العرب والمصريين أقلعت هذه القوات من شواطئ سورية قرب موضع يقال له "فونكس" بآسيا الصغرى ويقول أرشيبالد لويس: أن انتصار العرب في هاته الغزوة جاء نتيجة لخطط غير عادية إذ ربطوا سفنهم بعضها إلى بعض بسلاسل ثقيلة فاستحال على أعدائهم اختراق صفوفهم.[4] ثم تشابكوا بالسيوف والخناجر فألقت الأمواج جثث الرجال إلى الساحل حتى صارت مثل الجبل العظيم وغلب الدم لون الماء وصبر المسلمون يومئذ صبرا لم يعهد مثله قط،[5] كما استخدموا في تلك المعركة خطاطيف طويلة يصيبون بها صواري وشرع سفن الأعداء الأمر الذي انتهى بكارثة بالنسبة للبيزنطيين ونجا إمبراطورهم قنسطانز–قسطنطين–من الموت.[6] وقد انتهت المعركة بفوز سحيق كان المسلمون في بدايته متخوفين من عدد وعدة العدو الأمر الذي جعل عبد الله بن أبي سعد يستشير المسلمين فيه فقام إليه رجل من أهل المدينة كان متطوعا معه فقال "أيها الأمير إن الله عز وجل ثناؤه يقول: "قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةًۢ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٢٤٩﴾﴾

."[7] فقال عبد الله اركبوا باسم الله،[8] فاقتتلوا واستحر القتل وانهزم الأعداء وأقام ابن سرح بالموضع أياما ثم قفل وسمي المكان ذات الصواري والغزوة كذلك لكثرة ما كان بها من

---

[1] ابن كثير: المصدر السابق، ج1، ص237.

[2] أرشيبالد لويس: المرجع السابق، ص91.

[3] ابن عبد الحكم: فتوح مصر والمغرب، تحقيق: عبد المنعم عامر، د.ط، الذخائر، القاهرة، 2001، ج1، ص225.

[4] لويس: المرجع السابق، ص91، 92.

[5] ابن كثير: المصدر السابق، ص238.

[6] لويس، المرجع السابق، ص92.

[7] سورة البقرة: الآية 249.

[8] ابن عبد الحكم: المصدر السابق، ص255، 256.

الصواري وكانت سنة 31هـ وقيل 34هـ، وسار قسطنطين إلى صقلية وعرفهم خبر الهزيمة فنكروه وقتلوه في الحمام.[1] ولعل أهم أسباب هذه الحملة المسيرة من قبل الإمبراطور قنسطانز هو عرقلة الاستعدادات البحرية التي كان المسلمون يعدونها في موانئ الشام لشن غارة على القسطنطينية، غير أنها فشلت واندحرت قوة الروم وكان هذا الفوز الساحق حدا فاصلا في سياسة الروم إزاء المسلمين، فقد أفاق قنسطانز بعدها إلى نفسه وأدرك أن إعداد أية حملة برية أو بحرية لاسترداد مصر أو الشام مجهود فاشل ضائع ومحاولات فات أوانها.[2]

ينضاف إلى السبب الأول أسباب أخرى كانت وراء هذه الهجمة التي باءت بالفشل أن القوات البيزنطية وما أصابها من هوان وهزيمة أدركت قوة المسلمين النامية وأرادت إجهاضها والقضاء عليها.[3]

انتقام البيزنطيين لما أصابهم على أيدي المسلمين في إفريقية (تونس) بقيادة ابن أبي سرح وانتصاره عليهم واسترداد مصر.[4]

ولعل كان وراء هذه الحملة هو قرار البيزنطيين ان يحولوا بين الخشب اللازم لصناعة السفن الذي كانت تتوفر عليه منطقة ساحل الأناضول الذي كان يزدحم بغابات السرو الكثيفة وهو الشجر المستخدم في صواري السفن وبين وقوعه في قبضة العرب وربما أهمية الخشب هي من كانت وراء الصراع البحري بين العرب وبيزنطة هذا وإن صح الزعم.[5]

---

[1] ابن خلدون: المصدر السابق، ج2، ص575.

[2] إبراهيم أحمد العدوي: الدولة الإسلامية وإمبراطورية الروم، ط1، دار رياض الصالحين، د.م، 1414هـ/1994م، ص62.

[3] أحمد المغلوث: المرجع السابق، ص156.

[4] ابن خلدون: المصدر السابق، ج6، ص575.

[5] أرشيبالد لويس: المرجع السابق، ص92.

غير أن معاوية لم يفد من هذا النصر الذي أحرزه في متابعة الغزو البحري فقد شغل بالمطالبة بدم عثمان بن عفان ومناوئته علي بن أبي طالب من أجل الظفر بالخلافة عن مواجهة البيزنطيين.[1]

أما في القسطنطينية فإن الاضطرابات التي سادت البلقان وباقي الممتلكات في الغرب جعلت قنسطانز يترك الصراع مع العرب ولو مؤقتا وكان بسبب تقدم السلاف في البلقان نحو بحر الأرخبيل مصدر الاضطرابات.[2]

غير أن البيزنطيين أعادوا الكرة وهجموا على سواحل الشام مما سبب خسائر فادحة للمسلمين مما حمل معاوية على إعادة النظر وإقامة دار لصناعة السفن بعكا بدلا من الاعتماد على مصر وشكلت بذلك خطرا متزايدا على البيزنطيين.[3]

فحاول الأسطول الإسلامي فتح جزيرة اقريطش تحضيرا لغزو القسطنطينية[4] وكان غزوها بداية لمرحلة جديدة تحمل طابع التوسع البحري والاستيلاء على عاصمة الروم التي لطالما كانت شوكة تخز في جنب البلاد العربية المطلة على البحر المتوسط.

واستهل معاوية سياسته البحرية التوسعية بتقوية الثغور البحرية في كل من الشام ومصر وشحنها بالجند المدربين على ركوب البحر ثم بث النشاط في دور الصناعة في كل من الشام ومصر، كذلك لإنتاج السفن الحربية وغيرها من المراكب الخاصة بنقل المؤن والعتاد وفي نفس الوقت أعد معاوية القوات البرية للالتحام مع القوات البحرية للهجوم على القسطنطينية غير أن حصاره عليها باء بالفشل وأدرك أنه للاستيلاء عليها وجب وتطلب إعداد أسطول عربي قوي وأن هذه الحملة كانت استطلاعية تمهيدية وترجع سبب حصانة

[1] عبد العزيز سالم وأحمد مختار العبادي: المرجع السابق، ص19.

[2] أرشيبالد لويس: المرجع السابق، ص92.

[3] عبد العزيز سالم والعبادي: نفسه، ص19.

[4] توفيق مزاري: المرجع السابق، ص33.

هذه العاصمة إلى إحاطة المياه بها من ثلاث جهات شمالية، شرقية وجنوبية كفل لأساطيلها المنعة والحماية.[1]

وأمام انتصارات العرب المتتابعة صرف الإمبراطور البيزنطي قنسطانز الثاني (337م–361م) نظره عن محاولة استرداد الشام ومصر ورأى أن يحول نشاطه إلى الميدان الغربي أي القسم الغربي من بحر الروم –البحر الأبيض المتوسط– حيث كانت جيوش العرب الظافرة تهاجم إفريقية وتشن الغارات على صقلية وسردانية وقوصرة...، ورأى أن يتخذ صقلية قاعدة له لضرب قوى العرب النامية هناك بعد أن تم لهم فتح مصر وتأمين السواحل في منطقة الشرق من البحر، فقد وجب عليهم الآن التفكير في فتح برقة وطرابلس وغيرهما...، تطبيقا لسياسة الاستمرار في عمليات الفتح وتأمين حدود مصر الغربية،[2] غير أنه وبالرغم من تلك الانتصارات إلا أن عملية الفتح تعثرت لعدم وجود تغطية مجدية كافية تحمي الجيوش الإسلامية.[3] وبسبب هذا العامل أي عدم التوفيق والتنسيق بين القوات البرية وتدعيمها بأخرى بحرية كانت نكبة عقبة بن نافع وانهزامه في تهودا سنة 64هـ أثناء تقدمه نحو الغرب.[4]

وقد كان لهذه الحادثة الأثر العظيم في نفوس القادة الفاتحين فأدركوا إلزامية وضرورة وبُدَّ، إنشاء أسطول مغربي، فقد كانوا لهذا الحين يعتمدون في مساندتهم للحملات البرية لفتح المغرب على سفن مصر حتى سنة 89هـ/708م.[5]

---

[1] عبد المنعم خفاجي وعبد العزيز شرف: معارك فاصلة في التاريخ الإسلامي، ط2، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، 1409هـ/1989م، ص54،56.

[2] عبد العزيز سالم وأحمد مختار العبادي: المرجع السابق، ص ص20،21.

[3] توفيق مزاري: المرجع السابق، ص34.

[4] أرشيبالد لويس: المرجع السابق، ص20.

[5] عصام محمد شبارو: الأندلس من الفتح العربي المرصود إلى الفردوس المفقود، ط1، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، 1423هـ/2002م، ص63.

ويمكن اعتبار ولاية حسان بن النعمان 73هـ/692م في المغرب بداية تأسيس البحرية المغربية بعدما لاحظ أن الروم يجدون في مركبهم النجاة إلى صقلية والأندلس إذا اشتد عليهم القتال في إفريقية وبعد الاستيلاء على قرطاجة 76هـ/695م –العاصمة البحرية للبيزنطيين– تم إنشاء قاعدة بحرية إسلامية قريبة منها بتونس قاعدة ترشيش وصنع بها مائة مركب وزودت بما يلزمها من المواد والصناع،[1] الخبيرين بشؤون الملاحة وبناء السفن وأصلهم أقباط من مصر وصل عددهم إلى ألف أسرة وأصبحت بهذا ترشيش أعظم الثغور العربية على ساحل المغرب الأدنى التي كان يقلع منها الأسطول العربي تحت راية الإسلام في غرب البحر الرومي.[2]

ولكن موسى بن نصير (85هـ/104م) هو في الواقع المؤسس الحقيقي للبحرية الإسلامية في غرب البحر الأبيض المتوسط فقد قام بإنشاء دور الصناعة وبناء السفن لأنه كان يعتقد أن العامل البحري سيكون له أثر هام في فتح الأندلس،[3] وقد أسهمت سفن موسى بن نصير في غزوة الأشراف –صقلية–،[4] وسردانية ثم فتح الأندلس،[5] ويعود هذا التطور البحري في عهد موسى بن نصير إلى فهمه سر حماية خطوط مواصلاته البرية بعمليات بحرية فقدر له النجاح، حيث أخفق عقبة بن نافع وعبر المسلمون إلى الأندلس ومنه إلى جنوبي فرنسا ودخل بذلك ما يقرب من ثلثي سواحل البحر المتوسط في حكم الدولة الإسلامية.[6]

---

[1] علي عشي: التوجه البحري للمغرب الأوسط وأثره في طرق التجارة والمواصلات (2–10هـ/ 8–16م)، أطروحة دكتوراه، جامعة باتنة1، الجزائر، 2016/2017م، ص45.

[2] عصام محمد شبارو: المرجع السابق، ص45.

[3] حسن أحمد محمود: قيام دولة المرابطين، صفحة مشرقة من تاريخ المغرب في العصور الوسطى، د.ط، دار الفكر العربي، القاهرة، د.ت، ص236.

[4] عبد العزيز سالم وأحمد مختار العبادي: المرجع السابق، ص34.

[5] توفيق مزاري: المرجع السابق، ص34.

[6] أرشيبالد لويس: المرجع السابق، ص21.

وفي خضم هذه الأوضاع واصل ولاة إفريقية سياسة الجهاد البحري غير أن أنهم – الولاة–انشغلوا عن صقلية التي تعتبر نقطة قوة البيزنطيين بثورات البربر،[1] والخوارج التي سمحت بعودة سيطرة البيزنطيين على مدن من غرب البحر المتوسط.[2] هذا وبالإضافة إلى انشغال الخلافة العباسية عن أمور البحر بمشاكلها في المشرق لتثبت كيانها ووجودها.[3]

وبعد قيام دولة الأغالبة 184هـ/800م في إفريقية.[4] نشطت حركة الرباط الساحلي والجهاد البحري.[5] فبخروج أسد بن الفرات (ت 213هـ/628م) من القيروان وبحشود عظيمة من مدينة سوسة التي أقلع منها الأسطول الإسلامي سنة 212هـ–827م.[6] استطاع أن يغزو صقلية وفتحها سنة 212هـ وغزو مالطة وسواحل إيطاليا الجنوبية والجنوبية الغربية.[7]

وفي العهد الفاطمي (296هـ/361هـ) عكف الفاطميون على العناية بالأسطول وزيادته وأصبحت عاصمتهم المهدية من أهم الموانئ الحربية فغزو سردانية سنة 323هـ/934م، وجنوه ومرسيليا وتبنت سيادتهم في جنوب إيطاليا، أما الأمويون في الأندلس فقد عمدوا إلى الإكثار من الأساطيل وبلغت بحريتهم في عهد عبد الرحمان الناصر ذروتها ورغم العداء بين الفاطميين والأمويين إلا أنها شبه متفاهمين على رد عدوان الفرنجة والنيل منهم.[8]

---

[1] حسن أحمد محمود: المرجع السابق، ص237.

[2] علي عشي: المرجع السابق، ص59.

[3] ابن وردان: تاريخ مملكة الأغالبة، تحقيق: محمد زينهم محمد عزب، ط1، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1408هـ/1988م، ص05.

[4] ابن وردان: المرجع السابق، ص05.

[5] توفيق مزاري: المرجع السابق، ص36.

[6] عبد العزيز سالم وأحمد مختار العبادي: المرجع السابق، ص105.

[7] السيد عبد العزيز سالم: تاريخ المغرب في العصر الإسلامي، د.ط، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 1999، ص ص288، 289.

[8] حسن أحمد محمود: المرجع السابق، ص239.

غير أن البحرية الإسلامية أخذت في التقهقر والضعف. بسبب القوى النصرانية المناوئة التي رأت في انتقال الفاطميين وبأساطيلهم التي كانت موضع رعب وفزع المسرح رحب للضغط والاستيلاء على الجزء الغربي للبحر المتوسط، زد على ذلك ضعف الخلافة الأموية وتقهقرها وبالتالي تفرق شمل الأندلس، وعكف ملوك الطوائف على شؤونهم الخاصة.[1]

أما الزيريين فقد كانت لهم أرض المعركة رحبة خاصة بعد رحيل الفاطميين وفي عهد الأمير باديس بن أبي الفتوح (386هـ/997م) زاد اهتمام الزيريين بالبحرية.[2] غير أن همة وقوة النشاط البحري ظهرت عندما تولى المعز بن باديس إفريقية فأسس أسطولا ضخما يهدف به لمواجهة منافسيه في طرابلس الغرب ومواجهة البيزنطيين وتم له ذلك فيما بين سنة 430هـ/435هـ واستطاع إخماد حركة الثوار في سوسة سنة 445هـ، لكن ظهور النورمان في جنوب إيطاليا وازدياد نشاطهم أضعف البحرية الإسلامية في صقلية وإفريقية.[3] وحد من نشاطها.

غير أن الإمارة الكلبية في صقلية ظلت تجاهد الروم في البر والبحر حتى أسقطها النورمان سنة 485هـ.[4]

إلا أن البحرية الزيرية عرفت تطورا في عهد تميم بن المعز وخلفائه وكان مرجع ذلك لاعتماده على البحريين المسلمين الذين هربوا من بطش النورمان واستغلوا بعد ذلك في أعمال الجهاد والغزو البحري.[5]

---

[1] حسن احمد محمود: المرجع السابق، ص ص239، 240.

[2] توفيق مزاري: المرجع السابق، ص39.

[3] عبد العزيز سالم والعابدي: المرجع السابق، ص699.

[4] توفيق مزاري: المرجع السابق، ص ص39، 40

[5] عبد العزيز سالم والعبادي: المرجع السابق، ص200.

وهو ما مهد للحماديين منذ انفصالهم عن الزيريين إلى الاهتمام بالبحر وركوبه ففي عهد الناصر بن علناس 454هـ/1062م الذي أنشأ أول قاعدة بحرية حربية هي مدينة بجاية عاصمته الثانية وقد ساعده في ذلك غنى هذه المنطقة بالمواد الأولية والأساسية ضف إلى ذلك طبيعة موقعها الإستراتيجي،[1] وأهم عامل كان تنامي الخطر النورماني الذي كان دائم النشاط على سواحل إفريقية والمغرب الأوسط حيث شكل أسطولهم درعا واقيا لمدنهم الساحلية مثل مرسى الخرز، بونة، جيجل، شرشال وتنس.[2]

كما نجد أن الوحدة السياسية للأندلس قد تفرقت إلى دويلات كما أشرنا سابقا. إلا أن بعضا منها كان لها نشاط يذكر منها بنو عباد الذين اهتموا بشؤون البحر لوقوع معظم ثغورهم على المحيط الأطلسي وكان لهم أسطول ضخم يعتمد على داري صناعة شلب واشبيلية، فقد ساهم أسطول إشبيلية بقطع منه في مهاجمة سبتة الخاضعة لسقوط البرغواطي وابنه المعز، ونقل أيضا جيوش المرابطين من سبتة إلى الجزيرة الخضراء.[3]

أما في عهد المعتصم بن صمادح (ت484هـ/1091م) فقد نجح في إنشاء أسطول بحري كان يرسو في خليج ألمرية غير أنه أحرق ولم يبقى منه إلا القليل، أما مملكة دانية والجزر الشرقية التي استقل بها مجاهد العامري 400-436هـ/1009-1045م، الذي يعتبر أكثر ملوك الطوائف عناية بالأساطيل استقل بجزر البليار وغزا سردانية سنة 106 هـ وأغار على سواحل إيطاليا ولوني غير أنه لقي هزيمة نكراءمن أسطول بيزا وجنوة الذي يعتبر أحد أسباب ضعف البحرية الإسلامية في غرب المتوسط.[4]

---

[1] موسى هيصام: الجيش في العهد الحمادي (405-547هـ/1014-1152م)، شهادة ماجستير، جامعة الجزائر، الجزائر، 2001/2000م، ص ص128، 129.

[2] نفسه: ص130.

[3] عبد العزيز سالم والعبادي: ص ص201، 202.

[4] نفسه: ص203.

وعليه ونظرا لهذا الوضع المتردي وبوادر الضعف والهوان الذين آلت إليهما البحرية الإسلامية، خاصة وبحلول القرن 5هـ/11م الذي اختل فيه التوازن في موازين القوى في الحوض الغربي للبحر المتوسط بعد أن سيطرت الأساطيل الغربية على العديد من الجزر التي خضعت للمسلمين ردحا من الزمن والتي اتخذت منها نقاط ارتكاز متقدمة لتهديد السواحل الغربية وبروز قوى جديدة تمثلت في المدن الإيطالية –بيزا، جنوة– والممالك النصرانية في الأندلس –برشلونة–.[1] ضف إلى ذلك التبريكات البابوية ومساندتها للحروب الصليبية وتدعيمها.

وعلى إثر هذه الأحداث كان لزاما على الدولة الإسلامية في المغرب أن تملك أسطولا في مياه المغرب يساعدهم على إتمام مشاريعهم وتأمين فتوحاتهم.[2] وزامن ذلك أي أثناء هذا الوضع المتردي قناعة القادة الفاتحين بضرورة اصطناع قوة بحرية في المغرب ظهور قوى جديدة تمثلت في دولة المرابطين والموحدين اللتين ستضطلعان بعظم المهمة الملقاة على عاتقهما وإنقاذ الوضع في الحوض الغربي من بحر الروم. وهو ما سنحاول معالجته في ثنايا الفصول القادمة.

[1] توفيق مزاري: المرجع السابق، ص ص04،05.

[2] عبد المنعم خفاجي وعبد العزيز شرف: المرجع السابق، ص71.

الفصل الأول

البحرية في عهد المرابطين

1-نشأة الدولة المرابطية

يكتنف الغموض نشأة المرابطين ويبدأ تاريخهم في جناح المغرب الأيمن في الصحراء الغربية –موريطانيا– في هذه الصحراء الشاسعة كانت تعيش قبائل "صنهاجة".[1] أقوى قبائل البربر وقد مثلت شعبا انضوت تحت لوائه أكثر من سبعين قبيلة بربرية، أشهرها لمتونة وجدالة، لمطة ومسوفة وهي التي تكونت منها دولة المرابطين السنية.[2] ويرى صاحب الحلل الموشية أن هؤلاء ينتمون إلى لمتونة وهم أولاد لمت وجالة ولمط ومسوف وهم ضواعن في الصحراء رحالة لا يطمئن بهم منزل وليس لهم مدينة يأوون إليها، وصنهاجة يرفعون أنسابهم إلى حمير وأنهم خرجوا إلى اليمن وارتحلوا إلى الصحراء وهي مواطنهم بالمغرب.[3]

وقال ذوو العلم بأخبارهم أن الجد الذي ينتمي إليه نسب جميعهم هو منصور والجد الذي يفترق منه أفخاذهم ترجوت بن ورتاسن بن منصور بن مصالة بن أمية بن ونمالي الصنهاجي ثم اللمتوني.[4] كما يرجع ابن عذارى أن أصل الصنهاجيين إلى حمير فيقول "إن صنهاجة من ولد عبد شمس بن وايل بن حمير"،[5] أما صاحب العبر فيرى أن حركة المرابطين تكون في الطبقة الثانية من قبائل صنهاجة هم الملثمون الموطنون بالقفر وراء الرمال الصحراوية بالجنوب، وأصحروا على الأرياف ووجدوا بها المراد وهجروا التلول وجفوها واعتاضوا منها بألبان الأنعام ولحومها، فهم من ريف الحبشة واتخذوا اللثام وتميزوا بشعاره بين الأمم،[6] إلى أن تسموا بالمرابطين ويرى بعض المؤرخين أن الملثمين ينتسبون إلى قبيلة

---

[1] عصام الدين عبد الرؤوف الفقي: تاريخ المغرب والأندلس، د.ط، مكتبة نهضة الشرق، القاهرة، 1984، ص251.

[2] علي محمد الصلابي: تاريخ دولة المرابطين والموحدين في الشمال الإفريقي، ط3، دار المعرفة، بيروت، لبنان، 1430هـ/2009م، ص15.

[3] مجهول: الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية، تحقيق: زهير زكار وعبد القادر زمامة، ط1، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، 1979م، ص18.

[4] ابن عذارى المراكشي: البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق ومراجعة: إحسان عباس، ط3، دار الثقافة، بيروت، لبنان، 1983، ج4، ص17.

[5] ابن عذارى: المصدر السابق، ص46.

[6] ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون، ج6، ص241.

لمتونة إحدى بطون صنهاجة وكانت لمتونة تتولى رئاسة سائر القبائل وتتفرد باسم الملثمين، ليتوسع ويشمل كل من حالف لمتونة ودخل في سيادتها.[1]

بينما يذكر عبيد الله البكري بأن المرابطين هم "قبيل من صنهاجة يعرفون ببني لمتونة ظواعن رحالة في الصحراء، ليس يعرفون حرثا ولا زرعا ولا خبزا إنما أموالهم الأنعام وعيشتهم من اللحم واللبن ينفذ عمر أحدهم وما رأى خبزا ولا أكله إلى أن يمر بهم التجار من بلاد الإسلام أو بلاد السودان، فيطعمونهم الخبز ويتحفونهم بالدقيق وهم على السنة مجاهدون".[2]

بينما يشير من جهة أخرى صاحب روض القرطاس ابن أبي زرع إلى أن لمتونة فخذ من صنهاجة، وأن الملك إفريقيش ابن أبرهة...، لما ملك حمير خرج غازيا نحو بلاد المغرب وأرض إفريقية، فبنى مدينة إفريقية وهي مشتقة من اسمه وخلف بها بما من قبائل حمير وزعماء صنهاجة، وإنه لما نقل البربر عن الشام ومصر إلى المغرب أنزل العرب منازلهم من المغرب ترك فيه قبيلتين هما صنهاجة وكتامة.[3]

وقال الزبير بن بكار أن صنهاج أب صنهاجة ابن حمير بن سبأ جد حمير بن سبأ لصلبه، وقال أبو فارس عبد العزيز الملزوزي –رحمه الله– في أرجوزته في التاريخ المسماة "نظم السلوك في الأنبياء والخلفاء والملوك":

مرابطون أصلهم من حمير   قد بعدت أنسابهم عن مضر

كانوا ملوكا في الزمان الأول   وأمرهم وحالهم لم يجهل

وقد رأيت في كتاب النسب   قولا به أعجز أهل الأدب

---

[1] علي محمد الصلابي: المرجع السابق، ص15.

[2] أبي عبيد الله البكري: المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب، د.ط، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، د.ت، ص164.

[3] أبو الحسن علي بن عبد الله ابن أبي زرع الفاسي: الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، 1972، ص119.

بأن صنهاج سليل حمير وهو ابنه لصلبه لا العنصر

أكرم به من نسب صريح فقله لا تخف من التصريح

عدلهم وفضلهم مشهور ومجدهم وسعدهم مذكور

قد خلفوا من بعدهم حسن الثنا في غربنا وبلغوا فيه المنا.[1]

ويضيف المستشرق يوسف أشياخ إلى أن اللمتونيون الذين اشتق اسمهم من ثوبهم البسيط "اللمت" يرجع أصلهم إلى بني كدالة ومسطاسة وهم بذلك إحدى بطون صنهاجة وكانوا من البدو الرحل،[2] هذا وقد عرف المرابطون باسم الملثمين وذلك إما لأنهم كانوا يتخذون في أعراسهم نوعا خاصا من الحجاب أو أنه حدث ذات مرة في بعض حروبهم أن نساءهم كن يقاتلن معهم محجبات حتى يحسبن في عدد الرجال، بينما يوردهم ابن خلكان في أنهم تلثموا لشدة الحر والبرد.[3]

ومما قيل في اللثام:

قوم لهم درك العلاقي حمير وإن انتموا صنهاجة فهم هم

لما حووا إحراز كل فضيلة غلب عليهم الحياء فتلثموا.[4]

ويفسر عبد الغني حروز هذه الأبيات فيرجع مبررات ارتداء اللثام إلى علة الحياء.[5] وقيل أنهم تلثموا قصد التمويه عن أهل الكفر، أما موطنهم فقد سكن الملثمون الصحراء

---

[1] ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص ص119، 120.

[2] يوسف أشباخ: تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين، ترجمة وتعليق: محمد عبد الله عنان، ط2، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1417هـ/1996م، ج2، ص ص 67، 68.

[3] أبي العباس شمس الدين احمد بن محمد بن ابي بكر بن خلكان: وفيات الأعيان وأبناء الزمان، تحقيق: إحسان عباس، د.ط، دار صادر، بيروت، د.ت، مجلد 7، ص129.

[4] ابن خلكان: المصدر السابق، ص130.

[5] عبد الغني حروز: المذهب الأشعري في بلاد المغرب الإسلامي خلال القرنين 5-7هـ/11-13م، أطروحة دكتوراه، المدرسة العليا للأساتذة، بوزريعة، الجزائر، الجزائر، 1436هـ-1437هـ/2015م-2016م، ص216.

الكبرى الممتدة من غدامس شرقا إلى المحيط الأطلسي غربا ومن جبال درن شمالا إلى أواسط الصحراء الكبرى جنوبا.[1]

وقد انتشر الإسلام بين قبائل المرابطين عن طريق رحلات التجار أو من السرايا العسكرية وظلوا من القرن الخامس هجري متمزقين إلى أن حدثت ثورة دينية إصلاحية سياسية بفضل يحي بن إبراهيم الجدالي (ت440هـ/1048م) زعيم الملثمين والفقيه عبد الله بن ياسين (430-451هـ/1038-1049م) الذي نشر دعوته بين قومه وبنى رباطه ابتغاء العزلة والعبادة ولم تمر عليه أيام حتى اجتمع له حوالي ألف رجل سماهم المرابطين للزومهم رباطه.[2]لما رأى من شدة صبرهم وحسن بلائهم على المشركين- قبائل البربر التي امتنعت دخول الإسلام.[3]

1-1-النواة الأولى لتأسيس دولة المرابطين

على يد الفقيه ابن ياسين بدأت تظهر النواة الأولى لتأسيس دولة المرابطين على أسس دينية روحية قوامها الدين الإسلامي، وفق المذهب السني المالكي.[4] فقد سار ابن ياسين سيرة حسنة أثناء دعوته لقبائل الملثمين وتدرج بهم من مرحلة التعريف إلى التكوين ثم التنفيذ حيث شرع في قتال القبائل التي لم تحترم أو تقدس حرمات الله واعتبر ذلك جهادا في سبيل الله.[5] ضد من تفشت فيهم المنكرات والموبقات وقد كان هذا بعد إعداد وشورى من أهل الحل والعقد

---

[1] علي محمد الصلابي: المرجع السابق، ص16.

[2] عصام الدين الفقي: تاريخ المغرب والأندلس، ص251، الرباط: من الفعل ربط والرباط ما ربط به والجمع رُبُط، والرباط والمرابطة تعني ملازمة ثغر العدو، والرباط هو المواظبة على الأمر ومنه قوله عز وجل "وصابروا ورابطوا" أي حافظوا وواظبوا على مواقيت الصلاة، ويقال ربط الله على قلبه بالصبر أي ألمه الصبر ومنه أيضا اصبروا على دينكم وصابروا عدوكم ورابطوا، أي أقيموا على جهاده بالحرب. ابن منظور محمد بن مكرم الأنصاري: لسان العرب، تحقيق: عبد الله كبير وآخرون، د.ط، دار المعارف، القاهرة، د.ت، مجلد6، ص ص1560-1561.

[3] مجهول الحلل الموشية، ص21.

[4] البكري: المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب، ص164.

[5] علي محمد محمد الصلابي: الجوهر الثمين لمعرفة دولة المرابطين، ط1، دار التوزيع والنشر الإسلامية، مصر، القاهرة، 1424هـ/2003م، ص63.

لإسقاط البغاة من الدولة الزناتية التي تفشى فيها الظلم والجور ضف إليها برغواطة وغمارة ذات المعتقدات الفكرية والانحرافات العقدية وهذا يعتبر من أعظم جهادهم.[1] التي كانت لطالما تؤتيثمارها تحت إشراف مهدي المرابطين عبد الله بن ياسين الجزولي وأعماله الحثيثة من أجل تفقيه الصحراويين وتعليمهم أمور الدين الإسلامي وباتخاذ الفقيه ابن ياسين مع يحي بن إبراهيم قامت دولة المرابطين التي تزعمها أبو بكر بن عمر (ت480هـ/1087م)[2] الذي استمر في فتح مدن المغرب ثم كتبت له الشهادة لتأتي بعدها مرحلة التمكين والتوسع لدولة المرابطين بقيادة يوسف بن تاشفين 400-500هـ/1009-1106م.[3] بن ترجوت بن ورتا نطق بن منصور بن مصالة ابن أمية ابن ونماني.[4] بن تليت الحميري الصنهاجي من ولد عبد شمس بن وائل بن حمير، كُني أبو يعقوب وكان يدعى بالأمير، ولما قدمه أبو بكر بن عمر على المغرب وفوض إليه أمره سنة 453هـ فانصرف إلى مدينة سجلماسة واختار له قوادا وقدمهم لقتال من بالمغرب من معزاوة وبني يفرن وغيرهم من قبائل البربر فذاع صيته وتقوى واشترى موضع تأسيس مدينة مراكش.[5] والتي سميت بعبد أسود كان يستوطنها بجنب الطريق اسمه مراكش فاستوطنها البربر -مسوفة ولمتوتة- وتخيروها دار ملكهم لتوسطها البلاد وكان نزولهم بها سنة 463هـ، وانفصالهم عنها سنة 540هـ.[6]

1-2-المظاهر الحضارية لدولة المرابطين:

استوطن المرابطون المناطق الصحراوية وهذه الأخيرة حُرمت الأنهار والغطاء النباتي الأخضر، وكانت الأمطار بها قليلة وتنحبس أحيانا لوقت طويل مما يعرض سكانها

---

[1] الصلابي: المرجع السابق، ص ص63، 64.

[2] حروز: المرجع السابق، ص220.

[3] الصلابي: الجوهر الثمين، ص65، عن فتوح بلاد المغرب ينظر: ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص ص128، 129.

[4] ابن عذاري: المصدر السابق، ج4، ص46.

[5] ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص136-138.

[6] أبو محمد بن علي التميمي عبد الواحد المراكشي: المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تحقيق محمد زينهم محمد عزب، د.ط، دار الفرجاني، د.م، د.ت، ص93.

للمجاعات، هذا على عكس المرتفعات التي دأب الملثمون على استيطانها فقد استفادوا من مياهها فعملوا في الزراعة–الشعير، النخيل–كما ازدهرت صناعة القطن وقصب السكر.[1] كما اهتموا بتربية الحيوانات للحصول على قوتهم واستعمالها في تنقلاتهم.[2] فلا شك أنهم استخدموا الإبل لأنها أداتهم الجيدة للتنقل في الصحراء.[3] بالإضافة إلى اهتمامهم بتربية المواشي من بقر وغنم وماعز للاستفادة منها، وكذلك النحل للحصول على العسل والشمع وقد ازدهرت الصناعات المحلية للاكتفاء الذاتي خاصة الصناعات المنزلية، والأدوات الحربية التي ازدهرت بسبب الحروب المستمرة بين الملثمين وجيرانهم الوثنيين من السودان وغانا.[4] بالإضافة إلى صناعة قتب الجمال وتصنع من الخشب المستورد من بلاد السودان وتُحشى بالقش والحلفاء وتوضع فوق سنام الجمال وكانت في مدينة نول –وقامت مقامها مدينة تندوف الحالية– بالإضافة كذلك إلى المزاريق والأطاس والخنجر ودرق اللمط الذي ذاع حتى في الأندلس.[5] وإلى جانب ذلك ازدهرت الصناعات الغذائية فاستخرجوا الزيت من ثمر الفرتي بعصره وصنعوا السكر من القصب واشتهرت به مدينة تارودانت وعرف الملثمون كذلك صناعة المنتوجات والألبسة من الصوف والقطن والوبر كذلك في تارودانت ومن معادن بلاد الملثمين الملح ويكثر في أوليل وتغازي التي تضم معظم مناجمه،[6] وكان الملح ذا أهمية اقتصادية في حياتهم إذا كانوا يقايضون به كالذهب والفضة والفائض يصدر إلى الخارج مما أوجد نشاطا تجاريا وكونت بلادهم الممر الوحيد بين الأندلس وأواسط إفريقية.[7]

---

[1] سعدون عباس نصر الله: الدولة المرابطية في المغرب والأندلس، ط1، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، 1405هـ/1985م، ص14.

[2] علي محمد الصلابي: تاريخ دولة المرابطين والموحدين، ص17.

[3] جورج مارسيه: بلاد المغرب وعلاقاتها بالمشرق الإسلامي في العصور الوسطى، ترجمة ومراجعة: محمود عبد الصمد هيكل ومصطفى أبو ضيف أحمد، د.ط، منشأة المعارف، الإسكندرية، 1999، ص236.

[4] الصلابي: المرجع السابق، ص17.

[5] سعدون عباس نصر الله: المرجع السابق، ص15.

[6] نفسه، ص16.

[7] سعدون عباس: المرجع السابق، ص16.

بالإضافة إلى مرور تجارة السودان بديار الملثمين الذين كانوا يجنون منها أرباحا ضخمة وطائلة.[1]

هذه الأرباح التي لطالما كانت من أسباب الصراع بين صنهاجة الصحراء وبين زناتة المغرب الأقصى لكن الصنهاجيين سرعان ما تدفقوا صوب المغرب الأقصى وطردوا الزناتيين إلى المغرب الأوسط وأصبحوا أحرارا في تنقلاتهم التجارية النشطة وبرزت عدة أسواق وأصبحت ذات شهرة مثل: أودغشت عند الطرف الجنوبي من الصحراء بالإضافة إلى ازدهار تجارة مدينة نول.... .[2]

وقد أدى ازدهار التجارة في بلاد الملثمين إلى ظهور طبقة من الأثرياء –طبقة الأمراء– إلى جانب الفقهاء المحليين الذين استأثروا بالحكم واحتكروا الأراضي الزراعية في الواحات وكذلك مناجم الملح وقطعان الماشية....، وبالمقابل منهم كانت طبقة الفقراء" المذقعين في فقرهم يرعون المواشي ويؤدون الضرائب، وكانت بيوتهم كالأكواخ، كما ظهرت طبقة العبيد الذين سخروا في العمل في مناجم الملح وجلهم كانوا أسرى من الحروب التي كانت بين الملثمين والوثنيين ليكونوا فيما بعد فرقة خاصة في الجيش المرابطي.[3] واشتهرت "المرأة" الملثمة بالجمال وسمرة اللون وكان لنساء الطبقة العليا منزلة رفيعة تفوق منزلة الرجال، هذا وساد المجتمع الملثم عادات تتنافى مع الإسلام كالزواج بأربع حرائر وعادة الزنا ومصادقة الرجل للمرأة المتزوجة بعلم زوجها وحضوره،[4] وهي عادات عانى منها الإمام ابن ياسين كثيرا حتى تمكن أخيرا من أن يضع لها حدا وذلك باعتناق الملثمين للإسلام بعد فتح الأندلس بعد أن كانت ديانتهم المجوسية.[5] أما الجانب التعليمي فقد ازدهر في دولة

[1] حسين أحمد محمود: قيام دولة المرابطين، ص399.

[2] نفسه: ص ص399، 400.

[3] علي محمد الصلابي: تاريخ دولة المرابطين والموحدين، ص19.

[4] سعدون عباس نصر الله: المرجع السابق، ص18.

[5] نفسه: ص19.

المرابطين فقد كان المنبع لهذا التطور الثغور التي اهتمت بالناحية العلمية فانتشرت التعاليم الإسلامية ووقف فقهاء أهل السنة والجماعة –المالكية– في وجه التيارات الفكرية المذهبية التي عصفت بالمشرق وأصبحت الثغور مدارس علمية تدرس أمور الدين.[1]

2–البحرية على عهد المرابطين:

قام يوسف بن تاشفين بعدة أعمال بعد أن أصبح الحاكم الشرعي لدولة المرابطين بعد أن كان نائبا لابن عمه أبي بكر بن عمر –قبل وفاته ترك الملك ليوسف بن تاشفين وغادر ليجاهد الوثنيين من أهل السودان الغربي ومن هذه الأعمال نذكر:

–عمل على إتمام فتح بلاد المغرب الأقصى.

–إتمام بناء مراكش وأسس بها دار للسكة وأنشأ الدواوين والإدارات المختلفة وبدأت الدولة تقيم نوعا من العلاقات الدبلوماسية مع جيرانها من أمراء المشرق والمغرب.[2]

–قام ببناء أسطول بحري يساعده في الاحتلال وامتلاك الثغور الشمالية المطلة على مضيق جبل طارق مثل سبتة وطنجة ومليلة وهكذا صار المغرب يتمتع بوحدة متكاملة قوية في ظل دولة المرابطين وأميرها ناصر الدين.[3]

وفي سنة 460 هـ فتح يوسف بن تاشفين فاس وفتح جميع بلاد غمارة وجبالها من الريف إلى طنجة وفيها فتح فاس الفتح الثاني.[4]

وبعد هذه الأعمال وأخرى تبين ليوسف بن تاشفين ضرورة اصطناع سياسة بحرية تمكنه من التوسع أكثر لدولة الملثمين بعد الحروب التي خاضتها مما أملى عليها العمل

---

[1] علي محمد الصلابي: الجوهر الثمين لمعرفة دولة المرابطين، ص46.

[2] أحمد مختار العبادي: في تاريخ المغرب والأندلس، د.ط، دار النهضة العربية، بيروت، د.ت، ص305.

[3] نفسه: ص ص305، 306.

[4] ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص 139، 141.

للحفاظ على معالم الهوية الإسلامية التي ظهرت لها أيادي خفية حاقدة جاهلة تسعى لطمسها وإظهار وثنيتها وعليه وجب طرح التساؤل التالي: يا ترى فيما تمثلت تلك القوى المناوئة داخليا وخارجيا؟ وما هي التحديات الجديدة التي فرضت على الدولة الإسلامية الفتية دولة "المرابطين" أن تخوضها على الرغم من طبيعتها؟

بعد الأعمال التي قام بها مؤسس الدولة يوسف بن تاشفين، صار المغرب يتمتع باستقرار ووحدة سياسية ودينية قوية في الوقت الذي كان فيه الأندلس يعاني من التفكك السياسي والاجتماعي تحت حكم ملوك الطوائف وضغط الغزو المسيحي من الشمال مما أدى بها إلى طلب المعونة من المغرب،[1] ففي سنة 467هـ/ بعث المعتمد بن عباد صاحب إشبيلية إلى يوسف بن تاشفين يستدعيه للجواز برسم الجهاد ونصر البلاد وينظر في حرب سبتة وطنجة فبعث ابن تاشفين لذلك قائده صالح بن عمران[2] في 12 ألف فارس من المرابطين و20 ألف من سائر قبائل المغرب وزنانة، فلما قربوا من أحواز طنجة خرج إليهم الحاجب سقوط البرغواطي وهو شيخ كبير سنه 86 سنة فقال: "والله لا يسمع أهل طنجة طبول اللمتونيين وأنا حي أبدا" فالتقى الجمعان بأحواز وادي منى من أحواز طنجة فالتحم القتال بينهم فقتل سقوط وهزم جيشه (فتح 470هـ/1077م).[3] غير أن المعز –البرغواطي– كاد يهزم ابن تاشفين في سبتة المستعصية لولا مساعدة المعتمد بن عباد المتمثلة في سفينة حربية ضخمة تقدمت كما يقول التازي ناقلا عن ابن بسام نحو سبتة فأطلت على أسوارها ورفعت صوتها ببوارها وأفضت بدولة صاحب سبتة إلى سوء قرارها...." .[4] وعند دخول ابن تاشفين سبتة (477هـ/1084م)، اهتم أولا بإصلاح أحوالها وسفنها، ولا شك أن احتلاله لهذه

[1] العبادي: المرجع السابق، ص306.

[2] ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص142.

[3] نفسه: ص ص142، 143.

[4] عبد الهادي التازي: التاريخ الدبلوماسي للمغرب من أقدم العصور إلى اليوم، –عهد المرابطين– د.ط، الهيئة العامة لمكتبة الإسكندرية، الإسكندرية، 1407هـ/1987م، مجلد 5، ص 7،10.

الثغور الشمالية كان خطوة في بناء أسطول مغربي قوي.[1] فقد استعان بخبرة أهل السواحل المشتغلين بركوب البحر وبحارة من الأندلس ودور صناعتها في تدعيم أسطوله.[2]

على الرغم من طبيعة المرابطين التي لا تستدعي أن يكونوا بحارة أو مهتمين به، بسبب أصلهم البدوي وطبيعة حروبهم لتأسيس دولتهم فلم يسعهم أن يعمروا أسطولا خاصة وأن نزاعهم كان دائما حول المناطق الداخلية، وكان من بين أهم البواعث التي أدت بالمرابطين إلى الاهتمام بإنشاء الأساطيل الاستجابة لنداء أهل الأندلس –الجهاد– الذي أوجب التوسع فيها.[3]

وبعد أن استولى المرابطون على سبتة، توسعوا نحو السواحل ففتحوا تلمسان وجرسيف، ومدينة مليلة وجميع بلاد الريف وفتحوا مدينة نكور، ووجدة وفتح تنس ووهران وجبال الونشريس وأعمال شلف بأجمعها إلى الجزائر.[4] ومن هنا ظهر للمرابطين في عهد يوسف بن تاشفين أسطول صغيرة،[5] يتألف من سفن النقل أكثر من سفن القتال ذلك أن الغرض الأساسي منه هو حفظ المواصلات بين المغرب والأندلس ونقل الجند وقد استخدم الأسطول في فتح بلسنية والجزائر الشرقية ولكن لم تنسب إليه أية موقعة بحرية،[6] غير أنه بدأ يظهر كعنصر فعال ونقل جنود المرابطين من بر عدوة المغرب إلى بر عدوة الأندلس

[1] السيد عبد العزيز سالم والعبادي: تاريخ البحرية، ص239.

[2] فتحي زغروت: الجيوش الإسلامية وحركة التغيير في دولتي المرابطين والموحدين، ط1، دار التوزيع والنشر الإسلامية، مصر، القاهرة، 1426هـ/2005م، ص287؛ حسن أحمد محمود: المرجع السابق، ص329.

[3] عز الدين عمر أحمد موسى: دراسات في تاريخ المغرب الإسلامي، ط1، دار الشروق، بيروت، القاهرة، 1403هـ/1983م، ص46، 48.

[4] ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص143.

[5] فتحي زغروت: المرجع السابق.

[6] يوسف أشباخ: تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين، ج2، ص237.

لخوض معركة "الزلاقة" وأصبح همزة الوصل بين العدوتين ليحقق به يوسف بن تاشفين مشروعه العسكري الكبير بضم بلاد الأندلس لدولته الناشئة.[1]

وإن كانت المصادر والمراجع لم تشر إلى نشاط البحرية في عهد يوسف بن تاشفين فمن المحتمل أنها كانت في عهده في طور البناء والتكوين إلا أنها في أخريات حياته قد اكتملت وظهر نشاطها وعين لها أمير يقودها وهو عيسى بن ميمون الذي عرف بلقب أمير البحر.[2]

ويظهر أنه بعد التوسعات التي قام بها على سواحل المغرب المذكورة آنفا، قد أحجم يوسف بن تاشفين عن التوسع في بلاد المغرب الأوسط، بسبب تمسكه بصلة القربى التي تجمعه بأمراء بني حماد الصنهاجين أو أنه آثر جهاد نصارى الأندلس بناء على تطلعات أندلسية فرضتها حركة الاسترداد المسيحي في إسبانيا.[3]

2-1-الأسطول المرابطي في الأندلس والجزر الشرقية

لقد شهدت الأندلس منذ اضمحلت دولة الأمويين في قرطبة في مطلع القرن 5هـ/11م خلافات شخصية ونزاعات إقليمية ووجد نصارى إسبانيا المتحفزون في الشمال في اختلاف ملوك الطوائف فرصة ليزحفوا على أراضي المسلمين،[4] ففي سنة 478هـ/1085م دخل الفونسو السادس في جيوش لا تحصى الأندلس فحاصرها وضيق على كل قاعدة من قواعد الأندلس.[5] فملك طليطلة واستولى على أعمالها،[6] بعد أن نجح ملك قشتالة الفونسوا- في توحيد مملكتي قشتالة وليون وبسط نفوذه على الممالك الإسبانية الشمالية وكان سقوط

---

[1] فتحي زغروت: المرجع السابق، ص ص287، 288.

[2] نفسه: ص288.

[3] مزاري توفيق: المرجع السابق، ص67.

[4] عز الدين عمر أحمد موسى: المرجع السابق، ص48.

[5] ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص144.

[6] مجهول: الحلل الموشية، ص38.

طليطلة في يد الأسبان كارثة كبرى للإسلام في الأندلس وأطلقوا عليها اسم قشتالة الجديد Castilla le nouveau، فهي قلب الأندلس وعبر عنها الشاعر الطليطلي محمد عبد الله بن فرج بن عزنون اليحصبي المعروف بابن العسال بقوله:

شدوا رواحلكم يا أهل أندلس فما المقام بها إلا من الغلط

الثوب يغسل من أطرافه وأرى ثوب الجزيرة مغسولا من الوسط.[1]

وعلى إثر هذا التخاذل والسقوط لدول الطوائف وبداية تفكك الأندلس، لم يجد الأندلسيون أنفسهم إلا وهم يستنجدون بالأمير يوسف بن تاشفين الذي اشترط عليهم تسليمه ثغر الجزيرة الخضراء كي يستطيع التحكم في مضيق جبل طارق ويضمن سلامة قواته وخطوط مواصلاته، ثم عبر يوسف بن تاشفين بجيوشه إلى الأندلس،[2] وقبل هذا تسامع الفونسو السادس بهذا الاستنجاد وبتلك المراسلات فأرسل في تهديد ابن تاشفين فرد عليه قائلا:[3] "أما بعد فإن الجواب ما تراه بعينك لا ما تسمعه بأذنك والسلام على من اتبع الهدى".[4]

فجمع الفونسو السادس ملك الجلالقة أمم النصرانية لقتال المرابطين[5] وكان عسكر المسلمين يناهز 50 ألف فارس فالتحمت الفئتان وعظمت الهجمات بفحص الزلاقة[6] في الشمال من بطليوس في غرب الأندلس، وقبل هذا فإن الفونسو السادس كان قد رفع الحصار عن سرقسطة،[7] وبقوة وعزم يوسف بن تاشفين وقائده المظفر أبا سليمان داود بن عائشة

---

[1] أحمد مختار العبادي: في تاريخ المغرب والأندلس، ص ص262،261.

[2] السيد عبد العزيز سالم والعبادي: المرجع السابق، ص240، الحلل الموشية، ص51.

[3] أحمد مختار العبادي: المرجع السابق، ص307، الحلل الموشية، ص43.

[4] لسان الدين بن الخطيب: تاريخ المغرب العربي في العصر الوسيط، تحقيق وتعليق: أحمد مختار العبادي ومحمد إبراهيم الكتاني، د.ط، دار الكتاب، الدار البيضاء، 1964، القسم 3 من كتاب أعمال الأعلام، ص240.

[5] ابن خلدون: المصدر السابق، ج6، ص248.

[6] مجهول: الحلل الموشية، ص 56، 61.

[7] العبادي: المرجع السابق، ص309.

والمعتمد بن عباد وغيره من المتطوعين وأمراء الأندلس وجيوشهم كانت معركة الزلاقة في يوم الاثنين 14 رجب 479هـ/26 أكتوبر 1086م،[1] فأمد الله المسلمين بنصره وقذف الرعب في قلوب المشركين وتحصلوا بين عسكر ابن عباد وعسكر يوسف بن تاشفين فاستأصلوا تلك الجموع المشركة[2] وأنقذوا الحكم الإسلامي في الأندلس وثبتت أقدام المرابطين فيها وبذلك أصبح القطران –المغرب والأندلس– يكونان دولة واحدة قوية عاصمتها مراكش[3] وقال أبو جهور في هذا النصر:

لم تعلم الروم إذ جاءت مصممة يوم العروبة إن اليوم للعرب.[4]

وبهذا الانتصار أوقف ابن تاشفين الزحف القشتالي بهزيمة نصارى اسبانيا في الزلاقة وجاز يوسف بن تاشفين ثانية في 481هـ/1088م غازيا لحصار حصن لبيط.[5] ثم جاز للمرة الثالثة في عام 483هـ/1090م ولكن لكي يقضي على دول الطوائف المتخاذلين، وفي عام 487هـ/1094م ضم الأندلس إلى دولته وأصبحت تحت قبضته ما عدا سرقسطة التي فتحت سنة 503هـ/1109م.[6]

[1] ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص ص 146، 147.

[2] مجهول: الحلل الموشية، ص ص 61، 62.

[3] العبادي: المرجع السابق، ص310.

[4] ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص152.

[5] حصن لبيط: بالقرب من لورقة وهو المكان الذي بدأت فيه النصارى توجه مضايقات لسكان مرسية وبلنسية...، فاستنجد المعتمد بن عباد بعاهل المغرب يوسف ابن تاشفين– فالتقيا عند مصب وادي سبو، غير أن الإمدادات التي وصلت إلى العدو من ناحية الحصن أدت إلى حرقه بعد أن وجدت المقاومة فيه ضعيفة. إبراهيم حركات: المغرب عبر التاريخ، طبعة 1420–2000 دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، 1420هـ/2000م، ج1، ص164.

[6] عز الدين عمر أحمد موسى: المرجع السابق، ص48.

أما العبور الرابع فكان سنة 490هـ/1096م وكان قد عهد بأمور الأندلس إلى كبير قادته سير بن أبي بكر، وفي سنة 495هـ توجه إلى قرطبة لأخذ البيعة لابنه أبي الحسن علي ثم عاد ابن تاشفين إلى مراكش وتوفي هناك سنة 500هـ/1106م.[1]

ثم بعد ذلك أخذ المرابطون يتوسعون في بلاد الأندلس فاتجهوا صوب الشرق ففتحوا المرية ثم بدأوا يبسطون نفوذهم على كثير من الموانئ الساحلية ودور صناعتها –صناعة السفن– خاصة ثغر المرية[2] وقبلها خضعت قرطبة –وكانت تابعة لبني عباد– سنة 484هـ ودارت في أحواز إشبيلية معركة عنيفة انتهت بانتصار المرابطين على الفونسو السادس.[3]

وبدأ المرابطون يعدون السفن لا لمجرد نقل القوات بين العدوتين بل للحرب والنزال فاشتراك الأسطول في معركة بلبسنية[4] التي احتدمت بين الطاغية لذريق النصراني الملقب بالكمبيطور،[5] والذي أخذ بمخنق بلبسنية وبين المرابطين الذين أُسْتصرخ بهم بعدما عظم بلاء الطاغية واشتد حالهم فجد في أمرهم وأمر قواده –يوسف بن تاشفين– وعماله على بلاد الأندلس بنصرهم واستنشقوا ريح الحياة.[6]

وعليه فإن المغاربة اعتبروا عبورهم إلى الأندلس جهادا، واعتبروا تخومها وثغورها دار حرب ولقد تبلور هذا المفهوم أكثر حينما بدأت حركة الاسترداد الإسباني وكما يقول محمد

---

[1] عبد الرحمان علي حجي: التاريخ الأندلسي من الفتح الإسلامي حتى سقوط غرناطة، ط2، دار القلم، دمشق، بيروت، 1402هـ/1981م، ص424.

[2] حسن أحمد محمود: المرجع السابق، ص392.

[3] علي الحجي: المرجع السابق، ص423.

[4] حسن أحمد محمود: المرجع السابق، ص392.

[5] الكمبيطور أو الكمبياطور: ارتبطت لسيرته عصورا من الزمن كزمن للبطولة القشتالية فهو الفارس الأشهر رود يجودياث دى بيبار المعروف في التواريخ النصرانية بالسيد الكمبيادور CID EL COMPEODOR والذي كان يجاهد لاسترداد أرضه التي انتزعها الإسلام منه واستقر بها، وقد ارتبطت سيرته بالأخص في مغامراته في منطقة بلنسية وافتتاحه لها وسيطرته عليها بضعة أعوام ثم وفاته مدافعا عنها ضد المرابطين، ينظر: محمد عبد الله عفان: مواقف حاسمة في تاريخ الإسلام، ط5، ورثة المؤلف، د.م، 1417هـ–/1997م، ص247.

[6] ابن عذارى: المرجع السابق، ج4، ص 31، 33.

الأمين بلغيت ناقلا عن ألفرديل: أن الدولة المرابطية بجهازها العسكري البري والبحري[1] قد تمكنت من صد هجومات النصارى الأسبان في كل لحظات وجودهم بالأندلس بل أعادوهم إلى الوراء من جديد وهم الذين حركتهم الأحقاد الصليبية للاستيلاء على بلاد الأندلس.[2] بتحريض وتموين ودعم البابوية وكافة الأمة النصرانية الحاقدة الناقمة على الإسلام وتوسعاته.

2-2-جهاد الأسطول المرابطي في الجزر الشرقية (البليار):

لقد اكتسبت جزر البليار موقعا إستراتيجيا هاما فهي بمثابة حلقة اتصال بحري ومركز صراع دولي ونقطة التقاء حضاري بحكم موقعها الذي له علاقة وثيقة بسواحل البحر المتوسط وجزره خاصة الغربية فأصبحت حتى اليوم من أهم مراكز الصراع الدولي.[3]

كانت جزر البليار خاضعة **لمجاهد العامري** صاحب دانية وولده علي بن مجاهد، وعندما استولى أمير سرقسطة المقتدر بن هود على دانية وسجن أميرها علي بن مجاهد

---

[1] محمد الأمين بلغيث: الربط بالمغرب الإسلامي ودورها في عصري المرابطين والموحدين، -دراسة تاريخية حضارية- د.ط، دار ابن حزم، بيروت، الجزائر، 1426هـ/2005م، ص111.

[2] نفسه: ص 111.

[3] عصام سالم سيسالم: جزر الأندلس المسنية، ط1، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، 1984، ص15؛ يطلق اسم البليار على مجموعة من الجزر غرب البحر المتوسط تشكل أرخبيلا يغطي مساحة كبيرة تصل إلى 4900 كلم^2 وهي خمسة جزر رئيسية: ميورقة ومنورقة ويابسة وفرمتيرة وقبريرة وتتميز هذه الجزر بموقع إستراتيجي خطير بين سواحل شرق اسبانيا وجنوب فرنسا....وسواحل بلاد المغرب الشمالية، وبفضل خصوبتها جعلها محط أنظار الغزاة والفاتحين والقوى المسيطرة في حوض البحر المتوسط، فقد أطلق عليها اليونانيون ومن بعدهم الرومان اسم بليارس وتعني ألقى أو رمى، والبعض ينسبها إلى اسم قبيلة تدعى بلاري، أما العرب فقد سموها الجزائر الشرقية وجزر شرق الأندلس، وقد عرب المسلمون الأسماء اللاتينية لجزر البليار فكانت من قبلهم ميورقة ومنورقة وياسبة...، وإنه وبالرغم من حرب الإبادة التي شنها الأسبان عليها إلا أنها حافظت على الطابع العربي الإسلامي في العديد من المجالات، **ينظر: عصام سيسالم:** المرجع السابق، ص ص 15-18.

أعلن والي هذه الجزر عبد الله المرتضي استقلاله لحكمها، ثم خلفه بعد موته مولاه **مبشر بن سليمان ناصر الدولة.**[1]

ولما ضم المرابطون ممالك الطوائف إلى ممتلكاتهم تركوا مبشر بن سليمان صاحب البليار حرا تقديرا لجهوده التي بذلها لصد النصارى فبقي يحكمها طيلة عهد يوسف بن تاشفين وفي السنوات الأولى من حكم علي بن يوسف 500-537هـ/1106-1146م إلى عام 508هـ.[2]

وعندما تحالف النصارى من جمهوريتي بيزا وجنوة وإمارة برشلونة ضد مبشر بن سليمان حيث عمروا 300 مركب وضربوا على جزيرة ميورقة حصارا عنيفا سنة 509هـ/1115م.[3] وقد حاول والي ميورقة –مبشر بن سليمان– الاستنجاد بالمرابطين غير أنه توفي أثناء الحصار وخلفه أبو الربيع سليمان، لتصل نجدة علي بن يوسف بقيادة أمير البحر المرابطي ابن تفرطاس وعندما علم الأعداء بقدومه غادروا ميورقة مثقلين بالغنائم والسبي بعد أن خربوها وأحرقوا وقتلوا معظم أهلها.[4] ولما وصل المرابطون بأسطولهم أواخر سنة 509هـ/1115م عمروها وأصلحوا أحوالها وهكذا احتل المرابطون البليار بدون قتال على عهد علي بن يوسف بن تاشفين.[5]

وبعد تعميرها انصرف الأسطول إلى موضع استيطانه، أما العدو وفي طريق رجعته هبت عليه ريح فحملت منه أربع قطائع إلى ناحية دانية، فعمد إليها قائد البحر أبو السداد ففرت أمامه وغرقت واحدة منها قدامه، وعكس الثلاث.[6]

---

[1] السيد عبد العزيز سالم والعبادي: المرجع السابق، ص243.

[2] الصلابي: الجوهر الثمين، ص195.

[3] علي حجي: المرجع السابق، ص426.

[4] فتحي زغروت: المرجع السابق، ص289.

[5] السيد عبد العزيز سالم والعبادي: المرجع السابق، ص ص 244، 245.

[6] علي حجي: المرجع السابق، ص427.

وتجدر الإشارة إلى أن البذور التي غرسها يوسف بن تاشفين قد أينعت وقطف ثمارها ولده علي، فقد ازدهر الأسطول في عهده ودليل ذلك معركة ميورقة التي أسرعت فيها أساطيل ولي عهد بن تاشفين –علي– إلى تلبية نجدة مبشر بن سلمان وأنزلت بالفرنجة هزيمة ساحقة وأصبحت ميورقة من أهم قواعدهم.[1]

ومن ذلك الوقت غدا الأسطول المرابطي سيد الساحل الشرقي من الأندلس وشرع علي بن يوسف في الغارات على اشترويس وجليقية وعلى شواطئ القطلونيين فقد كان استرداد الجزر الشرقية يمثل العصر الذهبي للأسطول المرابطي.[2]

وينبغي علينا الإشارة في هذا الصدد، إلى أن المعارك التي خاضها الأسطول المرابطي ضد القوى المسيحية في حوض البحر المتوسط لا تحتوي المصادر التي بين أيدينا في بعض الجزر الشرقية ولكنها تشير إلى بعض العمليات الحربية التي قام بها الأسطول في بعض الجزر الشرقية سنة 509هـ/1115م وفي جزيرة صقلية سنة 516هـ.[3]

وإنه وباستيلاء الأسطول المرابطي على جزيرة ميورقة يبتدئ عهد جديد في تاريخ النضال بين المسلمين والفرنجة وأصبح أسطولهم ايضا قوة هائلة يحسب لها الأعداء ألف حساب، فدخلوا الصراع المحتدم الذي كان بين النومنديين أصحاب صقلية والزيريين أصحاب إفريقية.[4]

[1] حسن أحمد محمود: المرجع السابق، ص394.

[2] عز الدين عمر أحمد موسى: المرجع السابق، ص64.

[3] عبد العزيز سالم والعبادي: المرجع السابق، ص243.

[4] حسن أحمد محمود: المرجع السابق، ص394.

2-3-حماية السواحل المغربية من الأطماع النورمانية وغزو صقلية:

مرت صقلية منتصف القرن 5هـ/11م بفترة من النزاعات والفتن الداخلية، فلم تجد لنفسها نصيرا إذا كانت الدولة الفاطمية التي تتبعها الجزيرة تعاني من ضعف شديد فسقطت الجزيرة في أيدي النورمان بجنوب إيطاليا[1] وتم انتزاعها من أيدي المسلمين.

هذا وقد تم الفتح النورماني لصقلية في خلال 30 عاما 484هـ/1091م والفضل يعود للكونت رجار الأول بمساعدة أخيه جيسكارد في المرحلة الأولى ولولا مواجهاتهم مع إيطاليا لكان فتحها أبكر.[2]

فقد استغل النورمان ذلك الصراع بين الزيريين وأبناء عمومتهم الحماديين فنشأت بينهم سلسلة من الحروب واتخذ كل منهم حليفا له يناصره على منافسه.[3] ومن هنا أخذوا يشنون الغارات على سواحل الدولة الزيرية طمعا في احتلال عاصمتها المهدية فاستنجد عندئذ الزيرويون الصنهاجيون بأبناء عمومتهم المرابطين فلبو ندائهم،[4] فوصل الأسطول الملثم وقائده محمد بن ميمون إلى بلاد روجار فهاجم نقوطرة 516هـ/1123م بمقاطعة قلورية فقتل وسبى وحمل نسائها إلى بلاده، وكان روجار كلما وصل أسطول من المغرب إلى بلاده نسبه إلى الحسن وأنه من تحريضه وعمله فصمم على غزو المهدية،[5] ولما دخلت سنة 543هـ طلع جرجي الأنطاكي على الحسن وأراد احتلال المهدية فلم يكن للحسن قبيل بذلك فرحل

---

[1] أمين توفيق الطيبي: دراسات وبحوث في تاريخ المغرب والأندلس، د.ط، الدار العربية للكتاب، د.م، 1997م، ج2، ص318.

[2] عزيز أحمد: تاريخ صقلية الإسلامية، تعليق وتقديم: أمين توفيق الطيبي، د.ط، الدار العربية للكتاب، د.م، 1389هـ/1980م، ص63.

[3] عبد الهادي التازي: المرجع السابق، ج5، ص178.

[4] عبد العزيز سالم والعبادي: المرجع السابق، ص246، عز الدين عمر موسى: دراسات في تاريخ المغرب الاسلامي، ص65.

[5] أبي عبد الله محمد بن خليل غلبون الطرابلسي: التذكار فيمن ملك طرابلس وما كان بها من الأخبار تحقيق: الطاهر أحمد الزاوي، د.ط، المطبعة السلفية، القاهرة، 1349هـ، ص44.ابن عذاري، البيان المغرب، ج4، ص67،

عنها ودخلها جرجي دون قتال،[1] غير أن رجار الثاني كان يعي جيدا قوة المرابطين بدليل أنه لم يستولى على المهدية إلا في سنة 543هـ/1148م أي بعد سقوط دولة المرابطين بقليل.[2] وعليه فإن الدولة المرابطية قد امتلكت أسطولا هاما من قطائع السفن المقاتلة في الجانب الغربي من البحر المتوسط ذلك أن نهاية هذه الدولة اقترنت ببحريتها،[3] عندما حاول الأمير تاشفين بن علي بن يوسف بن تاشفين أن يستعين بأسطوله في الفرار إلى الأندلس فرحل إلى ثغر وهران Oron بالجزائر سنة 539هـ وأقام هناك ينتظر قائد أسطوله أبا الحسن علي بن عيسى بن ميمون فوصله من المرية في عشرة سفن حربية فأرسى قريبا من معسكر[4] غير أن الموحدين بقيادة عبد المؤمن بن علي أحاطوا بالمدينة من كل جانب، ولجأ تاشفين إلى ربوة هناك مشرفة على البحر فتردى من على فرسه منها فمات (549هـ) ومن بعده ولده إبراهيم (ت541/1146) تنتهي هذه الدولة المجاهدة[5] لتنتقل تلك الأساطيل فيما بعد إلى خدمة الدولة الموحدية.[6]

2-4-نظم البحرية في العهد المرابطي:

قيادة الأسطول:

تعتبر قيادة الأسطول من مراتب الدولة وخططها في ملك الغرب وإفريقية ويسمى صاحبها البلمند منقولا من لغة الأفرنجة.[7] وكان أمير المسلمين المرابطين يمثل السلطة العليا في الدولة وهو الذي يأمر بتعمير الأساطيل وتوجيهها إلى الغزوات أما القائم بالقيادة فيطلق عليه قائد البحر أو قائد الأسطول البحري، وكان يطلق على قواد المراسي كلمة قائد مضافا

[1] ابن غلبون: المصدر السابق، ص ص45، 46.

[2] عبد العزيز سالم والعبادي: المرجع السابق، ص246.

[3] فتحي زغروت: المرجع السابق، ص290.

[4] أحمد مختار العبادي: دراسات في تاريخ المغرب والأندلس، د.ط، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، د.ت، ص227.

[5] نفسه: ص ص227، 228.

[6] فتحي زغروت: المرجع السابق، ص290.

[7] ابن خلدون: المقدمة، ص312.

غليها مركز قيادته مثل القائد أبو السداد كان يسمى قائد دانية،[1] وقد أصبح أسطول المرابطين بفضل قادته الكبار قوة ضاربة في جنوب البحر المتوسط ونفس الله به كربات المسلمين المضطهدين.[2]

ونلاحظ أن المرابطين الذين اتخذوا الأندلس مقرا لأسطولهم جعلوا قيادة أسطولهم إلى أسرة أندلسية هي أسرة بني ميمون،[3] ومن المرجح أنهم ينتسبون إلى أصول عربية إلى بني الدار الذين كانوا ينزلون بقرطبة وأشبيلية ومنهم من يذكر بأنهم من مدينة دانية وانتقل أفراد منهم إلى المرية وآخرون يذكرون بأنهم من مدينة قادس أو أنهم خدموا في جزيرة ميورقة.[4] وقد أشار ابن خلدون إلى أهمية الدور الذي لعبته تلك الأسرة أثناء قيادتهم للأسطول المرابطي في الدفاع عن السواحل المغربية بقوله: "وكان الجانب الغربي من هذا البحر موفور الأساطيل ثابت القوة لم يتحيفه عدو ولا كانت لهم به كرة فكان قائد الأسطول به لعهد لمتونة بني ميمون رؤساء جزيرة قادس".[5] وما يدل ايضا على أهمية الدور الذي لعبته هذه الأسرة، أن مدونة الفونسوا السابع اختصت علي بن عيسى بن ميمون باهتمام كبير فذكرت أنه غزا جنوب إيطاليا بل وصلت غاراته إلى بلاد الشام بالإضافة إلى نشاط أسطول المرابطين وغاراته على شواطئ بروفاس وإحراقه كل ما يصادفه، تعود المدونة لتمعن في نشاط علي بن ميمون فتقول أن الجالية المسيحية ببلاد علي بن يوسف قد أسرها علي بن ميمون أثناء إغارته بحوض البحر الأبيض وأنه نقلها إلى مراكش لتدخل في خدمة أمير المسلمين.[6] كما نجد فردا آخر من هذه الأسرة لا يقل أهمية عن سابقه، وهو عبد الله بن

---

[1] عز الدين عمر أحمد موسى: المرجع السابق، ص58.

[2] علي محمد الصلابي: الجوهر الثمين بمعرفة دولة المرابطين، ص195.

[3] عز الدين عمر أحمد موسى: المرجع السابق، ص58.

[4] علي قنبر إلياس: "بنو ميمون قادة الأسطول المرابطي والموحدي (508-599هـ/1115م-1202م)"، **مجلة أبحاث كلية التربية الأساسية**، العدد2، المجلد10، جامعة الموصل، 2010 م، ص ص418،417.

[5] ابن خلدون: المقدمة، ص ص 315، 316.

[6] حسن أحمد محمود: قيام دولة المرابطين، ص395.

ميمون الذي رأى أهل المرية تقديمه واليا عليهم عندما اضطربت الأمور السياسية في أواخر عهد المرابطين، غير أنه اعتذر بقوله "إنما أنا رجل منكم ووظيفتي البحر وبه عرفت، فكل عدو جاءكم من جهة البحر فأنا لكم به فقدموا على أنفسكم من شئتم غيري"،[1] ونقل لنا حسن أحمد محمود عن المستشرق جايا نجوس أن عيسى بن ميمون والد أمير البحر علي بن ميمون كان في أواخر أيام يوسف بن تاشفين وقد غدت إمرة البحر وقيادة الأساطيل وراثية في بني ميمون.[2] الذين اشتهروا بقدرتهم الحربية العالية في قيادتهم للأساطيل المرابطية ولعل أهم من برز منهم هو أبو عبد الله محمد بن ميمون الذي تولى قيادة أسطول المرابطين في عهد علي بن يوسف بن تاشفين (500هـ–1106م) وكان يتخذ من ألمرية –مدينة ساحلية بجنوب شرق الأندلس بناها الخليفة الأموي عبد الرحمان الناصر عام (344هـ/955م) وفيها مرفأ و مرسى للسفن –فيما بعد قاعدة لسفنه، هذا بالإضافة إلى عمله البطولي الذي قام به عندما هاجم أسطول جنوة وبيزا في جزيرة يابسة...[3] كما غزا بلاد الروم وفتح مدينة قطرون، وشن غارة أخرى على جزيرة صقلية وفتح مدينة نقوطرة التي تقع في إقليم كلابريا جنوب إيطاليا، كما وافى تاشفين بن علي إلى ساحل وهران بغية إنقاذه غير أنه لم يفلح في ذلك وسقط ابن تاشفين.[4] واشتهر منهم أيضا لب بن ميمون ومحمد بن ميمون والقائد الذي لم يكن من نسبهم وذاع صيته هو القائد المشهور ابن تفرتاس الذي فتح الجزر الشرقية وضمها إلى الدولة المرابطية سنة 509هـ/1116م بعد أن فرت البيزيون والجنويون عنها.[5]

---

[1] حمدي عبد المنعم محمد حسين: التاريخ السياسي والحضاري للمغرب والأندلس في عصر المرابطين، د.ط، دار المعرفة الجامعية، د.م، د.ت، ص312.

[2] قادس: شبه جزيرة بالأندلس عند طالقة من مدن إشبيلية وهي مدينة أندلسية موغلة في القدم من بناء الأوائل وفيها مصنع قادس، ينظر: علي قنبر إلياس، المرجع السابق، ص418.

[3] حسن أحمد محمود: المرجع السابق، ص393.

[4] نفسه، ص425،423.

[5] عز الدين عمر أحمد موسى: المرجع السابق، ص ص64،59،58. وينظر الهلابي: الجوهر الثمين، ص196.

وإلى جانب هذه الأسرة العريقة ببطولاتها نذكر المعز بن يوسف بن تاشفين والذين يكنى بأبي بكر، وقد ولاه والده قيادة الجيش الذي فتح طنجة وسبتة، وبعد نجاحه في القضاء على أسرة سقوط البرغواطي سنة (476هـ/1083م) عين أميرا على سبتة كما مدحه والده في الخطاب الذي بعثه إلى الناصر لدين الله تميم بن المعز بن باديس بالمهدية بعد انتصار الزلاقة،[1] ولما استنجد أمراء الأندلس ورؤساؤها بوالده وتواترت كتبهم عليه بعثه –المعز– إلى سبتة في جيش عظيم فنزل عليها وحاصرها حتى فتحها سنة (477هـ/1084م)،[2] كما لا ننسى القائد أبي سليمان داود بن عائشة الذي قال عنه صاحب روض القرطاس أنه لا نظير له في العزم والحزم والنجدة [3] فقد عبر على رأس قوة من الفرسان إلى الجزيرة الخضراء ليطلب من أميرها الراضي بن المعتد بن عباد إخلائها لتكون قاعدة بجيوش العاهل المغربي يوسف بن تاشفين العابرة إلى الأندلس.[4] كما بعث سنة 472م القائد أبو محمد بن مزدلي لغزو مدينة تلمسان فسار إليها في عشرين ألفا من المرابطين فهتكها ودخلها وظفر بوالد أميرها "معلا بن يعلا" المغراوي فقتله ثم رجع إلى يوسف بن تاشفين فألفاه مدينة مراكش.[5] وكان القائد سير بن أبي بكر أحد كبار قواد يوسف بن تاشفين وقريبه و كان حاكما على منطقة مكناس في بلاد المغرب، شارك في معركة الزلاقة وعُين حاكما على منطقة غرب الأندلس عند سقوط ملوك الطوائف وحقق انتصارات كبيرة على النصارى توفي سنة 487هـ/1094م، ومن أقطاب القادة المرابطين أيضا محمد بن الحاج والي بلنسية ثم سرقسطة.[6]

---

[1] مزاري توفيق: المرجع السابق، ص292.

[2] ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص144.

[3] المصدر نفسه، ص144، وينظر: عصام محمد شبارو، المرجع السابق، ص248.

[4] عبد الهادي النازي، المرجع السابق، ج5، ص66.

[5] ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص143.

[6] خميسي بولعراس: فن الحرب بالغرب الإسلامي خلال عصري المرابطين والموحدين، (رسالة دكتوراه)، جامعة الحاج لخضر، باتنة، الجزائر، د.ن، 1434-1435هـ/2013-2014م، ص40.

الجيش البحري:

منذ اللحظات الأولى اهتم يوسف بن تاشفين بتكوين جيش كبير مزود بكل أنواع السلاح ليدعم به قواته ومركزه وكذا لمواصلة عملية الجهاد بالأندلس وقد تضاربت الأقوال في تعداد جند يوسف بن تاشفين فبعضها يقول أنها بلغت مائة ألف مقاتل وبعضها يشير إلى أن عدد جنده كان حوالي أربعين ألف مقاتل، لكن هذا العدد يختلف بالتأكيد من معركة إلى أخرى حسب الأهمية والحاجة.[1] وكان أمير المؤمنين هو قائد الجيش الأعلى وولاته هم في الوقت نفسه قواد الجيش إلى جانب قضاة المدن الذين كانوا أيضا من القواد العسكريين وكان معظم الموظفين ينتمون إلى قبيلتي لمتونة وكدالة الحربيتين الذين اتسموا بالبراعة وشدة الحراس ولا يفرون أمام عدو لهم....، وكانت دعامة الجيش من الفرسان المزودين بأحسن السلاح والذي بلغ عددهم 100 ألف مقاتل.[2] وكان الجيش على فرق يحمل كل منها علما خاصا وتسير إلى حومة القتال تحت قرع الطبول وأصوات الأبواق، وكان ترتيب الجند يقوم على نظام خماسي وهو المقدمة والمؤخرة والميسرة والميمنة (ويؤلفان جناحي الجيش)، والقلب فالمقدمة والمؤخرة المشاة والجناحان من وحدات الفرسان الخفيفة وحملة القسي والنبال ويتألف القلب من وحدات الفرسان الثقيلة وإليها يرجع الفضل غالبا في إحراز النصر في المعارك الحاسمة، أما القوى الخلفية أو الاحتياطية فكان يقودها يوسف بن تاشفين بنفسه باعتباره القائد الأعلى للجيش وتتألف هذه القوة من خيرة وأحسن الجند.[3]

ويجتمع القادة جميعا في مجلس الحرب الذي يعقد قبيل المعركة ويتلقون الأوامر والتعليمات من القائد الأعلى، وكان الجند ينظمون وفقا للأقاليم والمدن فيؤلف الأندلسيون مثلا قسما خاصا من الجيش يحمل أعلام إشبيلية وقرطبة....، بالإضافة إلى قوى الحرس

[1] حسن علي حسن: الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس –عصري المرابطين والموحدين– ط1، مكتبة الخانجي، مصر، 1980، ص ص209،210.

[2] أشباخ: المرجع السابق، ج2، ص ص234،235.

[3] حسن إبراهيم حسن وعلي إبراهيم حسن: النظم الإسلامية، د.ط، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ص196.

الخاص وكانت من الأقوياء ويتقاضون مرتبا شهريا قدره خمسة دنانير مرابطية، هذا عدا الطعام المجاني.[1]

ونظرا للمعارك الكثيرة التي خاضها المرابطون تطورت أساليبهم في القتال ولم يعد الجيش يضم القبائل الملثمة فقط، فدخلت عناصر جديدة بعد توحيد المغرب والسودان والأندلس فكونت فرق السودان عنصرا مهما في الجيش المرابطي، وانضمت زناتة وقبائل المصاعدة وحلفائها إلى ركب الجهاد، بالإضافة إلى القبائل العربية والمتطوعين الأندلسيين وفرق أخرى من النصارى المعاهدين الذين اعتنقوا الإسلام، ومن المرتزقة وقائدها القشتالي الربرتير وعرفت بفرقة الروم.[2]

أسلحة الجيش:

كانت أسلحة الجيش المرابطي في عهد يوسف بن تاشفين خفيفة تمثل البداوة وكانت تتألف من درق اللمط وسيوف الهند، والمزاريق المسنونة والقنا الطوال، ولما طال مقام المرابطين في الأندلس اقتبسوا كثيرا من أسلحة ملوك الطوائف والأسبان، فاعتمدوا على الخيل والجمال وتسلحوا بالفرد والدروع والسيوف.[3] حيث نجد أن قصور الحكام كانت مركزا لتجمع السلاح وتخزينه وبالإضافة إلى احتكاكهم مع الأندلسيين نجدهم كذلك مع الفرنجة من خلال صداماتهم المتكررة في الحروب.[4]

ولا تختلف أسلحة الأسطول عن أسلحة الجيش، فقد استعمل غزاة البحر المجانيق والسلالم والمساحي والفؤوس والمعاول والرقائق والحبال والدروع والسيوف والرماح والبيضات والأتراس والقسي والنشاب.... .[5] كما استخدموا السهام والمطارد والرعادات واستخدموا

---

[1] أشياخ: المرجع السابق، ج2، ص 237،235.

[2] عصمت عبد اللطيف دندش: الأندلس في نهاية المرابطين ومستهل الموحدين –عصر الطوائف الثاني– ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1408هـ، 1988م، ص ص142،143.

[3] حسن إبراهيم حسن وعلي إبراهيم حسن: المرجع السابق، ص196، وينظر: حسن أحمد محمود: المرجع السابق، ص ص382،383.

[4] خميسي بولعراس: المرجع السابق، ص ص33،34.

[5] عز الدين عمر أحمد موسى: المرجع السابق، ص57.

الطبول الضخمة ذات الصوت المدوي، فكانت تضرب قبل بدء المعركة فتهتز لدويها الأرض، وتتجاوب أصدائها فيرتاع العدو.[1]

الصناعة البحرية وأنواع السفن

لما استوسق الملك للعرب وشمخ سلطانهم وتقرب كل ذي صنعة إليهم بمبلغ صناعته واستخدموا من النواتية في حاجاتهم البحرية أمما....، وأنشئوا السفن فيه والشواني وشحنوا الأساطيل بالرجال والسلاح وأمطوها العساكر والمقاتلة لمن وراء البحر من أمم الكفر، وكانت أساطيلهم مجتمعة من سائر المسالك حرصا على مراسيم الجهاد... .[2] وقد عُني المرابطون ببناء الأسطول لحاجتهم إلى قوة بحرية تحمي شواطئهم واتسعوا في بناء السفن واهتموا بدور صناعتها وفرض بذلك الأسطول المرابطي هيبته البحرية في البحر المتوسط، فكانت لهم في سبتة وقادس وألمرية أساطيل دائمة وكانت قطائع النقل تجتمع بنوع خاص في مياه سبتة وطنجة والجزيرة الخضراء وطريف لتنقل الجيوش المرابطية من وإلى شبه الجزيرة.[3] وبعد أن وحدت الدولة المرابطية المغرب الأقصى يسر لها ذلك استخدام دور الصناعة التي كانت قائمة منذ أموي قرطبة منها ألمرية التي تتمتع بحصانة طبيعية ويشتمل على معدن الحديد وغدت أيام المرابطين مدينة الإسلام بفضل ازدهارها البحري التجاري.[4] وبلغ عدد الأساطيل بها في عهد تاشفين بن علي (539هـ/1144م) عشرة أساطيل وفي حركة المنصور إلى الأندلس كانت 13 قطعة مرفقة بقطعتين محملة بالأثقال إلى رباط الفتح (553هـ/1158م).[5] هاته المدينة التي أشرنا إليها آنفا أنها كانت مقرا ومركزا للجند الظافر، هذا بالإضافة إلى دانية التي تعتبر مقر قيادة الأسطول المرابطي في الأندلس، وكانت موانئ أسطول المرابطين تنتشر على شواطئ سواحل المغرب والأندلس أشهرها طنجة وبجاية وإشبيلية..... .[6]

---

[1] دندش: المرجع السابق، ص143.

[2] ابن خلدون: المقدمة، ص ص313،314.

[3] عصمت عبد اللطيف دندش: المرجع السابق، ص145.

[4] عز الدين عمر أحمد موسى: المرجع السابق، ص52.

[5] خميسي بولعراس: المرجع السابق، ص192، وينظر: علي محمد الصلابي، الجوهر الثمين، ص196.

[6] الصلابي: الجوهر الثمين بمعرفة دولة المرابطين، ص196.

وتعتبر دانية من كبرى قواعد الأسطول المرابطي في الأندلس، ولا شك أن كل هذه الموانئ والقواعد كانت تضم الكثير من البحارين للإشراف على إصلاح السفن وصيانتها وتزويدها بما تحتاج إليه من المؤمن والعتاد.[1]

وكذلك من أهم قواعد الأسطول المرابطي جزيرة "ميورقة" إحدى جزر البليار التي تعد من أهم قواعد المرابطين بعدما خلصوها من حصار صاحب برشلونة عندما استنجد بهم صاحبها مبشر بن سليمان أيام علي بن يوسف بن تاشفين.[2]

وقد أشرنا سابقا إلى أن يوسف بن تاشفين قد استعان بخبرة أهل الأندلس المشتغلين بالصناعة البحرية وقد استفاد منهم.

هذا وقد استغل المرابطون الغابات المنتشرة في الأندلس في تجهيز الأخشاب وتصنيعها فاشتهرت طرطوشة بجبالها العامرة بأشجار الصنوبر الممتاز وكذا صنوبر مدينة قلصة من أعمال مرسية الذي كان يحمل إلى دانية وإلى بلبنسية في البحر فتصنع منها السفن الكبيرة والصغيرة،[3] أما عن حجم الأسطول المرابطي وعدد سفنه فليست لدينا أي تفاصيل كافية وشافية سوى ما ذكره ابن خلدون من أن الأساطيل المرابطية بلغت مائة أسطول والمقصود هنا هو عدد مجموعات سفنه الحربية في القواعد.[4]

أما نوع السفن وحسب عز الدين عمر أحمد موسى فيقول أننا لا نملك تفاصيل وافية عنها في الفترة المرابطية،[5] غير أن مزاري توفيق يقتبس أنواعها من كلام ابن أبي زرع فيذكر اشتراك المرابطين وكذا الموحدين في بعض أسماء القطع البحرية العربية.[6]

كانت مراكب الأساطيل العربية على أنواع عدة نذكر منها:

---

[1] حمدي عبد المنعم محمد حسين: المرجع السابق، ص313.

[2] حسن أحمد محمود: قيام دولة المرابطين، ص394.

[3] مزاري توفيق: المرجع السابق، ص312.

[4] حمدي عبد المنعم: المرجع السابق، ص313.

[5] عز الدين عمر أحمد موسى: المرجع السابق، ص56.

[6] مزاري توفيق: المرجع السابق، ص329.

القراق أو القرقور: وهي من السفن الكبيرة التي تستعمل لتموين الأسطول بالزاد والمتاع والذخيرة لا تخشى الرياح العاصفة.

الشيني أو الشونة: جمعها شواني وهو مركب حربي كبير ذو أبراج وقلاع يستعمل للدفاع والهجوم.

العدولية: وهي سفينة منسوبة إلى قرية في البحرين "عدولي".

الخلية: وهي سفينة شراعية كبيرة تسير من غير أن يسيرها الملاح أو التي يتبعها زورق صغير.[1]

ويضيف عبد السلام الجعماطي أبرز أصناف السفن بالغرب الإسلامي خلال العصر الوسيط فيورد:

الأجفان: (جمع جفن) خصصت لحمل المسافرين مقابل أجرة تدفع مسبقا.

الشبابيك: (جمع شباك): هو قارب للصيد وقد وردت رواية في أنه استخدم لتهريب نجل المعتصم صاحب ألمرية من قبضة المرابطين.

الأعزية: من المراكب الحربية الشديدة البأس وقد اعتمدت على المجاذيف والأشرعة وهذا النوع استعمله الميورقبون لكسر الحصار الذي ضربته حولهم أساطيل بيزة وجنوة سنة 508هـ/1114م.

الشيطات (جمع شيطي): وهو عادة ما يتخذ للاستطلاع ونقل الأخبار لرؤساء الأساطيل بفضل صغر حجمه واستخدامه المكثف للمجذفين.[2]

---

[1] وفيق بركات: فن الحرب البحرية في التاريخ العربي الإسلامي، ص151.

[2] عبد السلام الجعماطي: دراسات في تاريخ الملاحة البحرية وعلوم البحار بالغرب الإسلامي، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1971، ص ص60،61،62،65.

الحراريق: (الحراقات) تختص بقذف العدو بالأسلحة النارية وأنابيب النفط.

الشلنديات: (مفردها شلندي) وهي مركبة حربية كبيرة مسطحة لحمل المقاتلة والسلاح.

الطرادات: (جمع طرادة أو طراد) وهي سفن صغيرة على هيئة البرميل بدون سطح وتستعمل في مطاردة العدو لسرعتها.[1]

3-إدارة المعركة البحرية:

من الطبيعي أن يسبق المعركة البحرية إعداد لها مثل حشد القوى وتعبئة الأساطيل والاستطلاع البحري ثم الاقتراب، وعليه من أولى مهام أمراء البحار بعد تفحص السفن وتزويدها بالوقود وشحنها بالأسلحة أن تحشد بالبحارة المقاتلين المخيرين الأقوياء عن طريق النقباء، وتوزع عليهم الأعطيات في حفل عظيم.[2] وهذا من باب التحفيز والتشجيع على القتال والحرب، ثم تتحرك الأساطيل بحذر شديد وتمويهات كعدم إيقاد النيران وإطفاء المصابيح...، وقبل الالتحام بالعدو يقوم كل قائد بالاستطلاع ثم الاقتراب وجذب سفن الأعداء بأن يلقي عليها الكلاليب ويجذبها لكي تكون مجالا أرضيا تكون عليه المعركة وتنشب.[3] مثلما حدث في معركة ذات الصواري المظفرة.

[1] فتحي زغروت: المرجع السابق، ص ص300،301.

[2] نفسه: ص295.

[3] نفسه: ص296.

الفصل الثاني

البحرية في عهد الموحدين

1-نشأة دولة الموحدين

قامت دعوة الموحدين على أساس دعوة دينية إصلاحية شعارها الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وهدفها تحقيق خلافة إسلامية شاملة للعودة بالمسلمين إلى نقاوتهم الأولى كما كان عليه الحال في عهد الخلفاء الراشدين، فقد كان مؤسس هذه الدعوة المهدي[1] أبو عبد الله محمد بن عبد الله تومرت العلوي الحسني المصمودي الهرغي نسبة إلى هرغة فخذ من المصامدة، كانوا يسكنون جبال السوس من بلاد المغرب[2] لقبته أخته بتومرت والتي تعني الاكسية الجلدية ويقال له أمغار والتي تعني العالم أو الفقيه، أما المهدي فلقبه بذلك العشرة من أصحابه ساعة مبايعتهم له ولد بموضع يسمى نومكران[3] سنة 485هـ/1092م على وجه التقريب، ولقب كذلك بآسافو ومعناه السراج.... .[4] تلقى دراسته الأولى بالمغرب ومع نهاية القرن 5هـ/11م جاز إلى قرطبة ولم يستقر بها إلا يسيرا وواصل رحلته إلى المشرق.[5] وفي الإسكندرية التقى بأبي بكر الطرطوشي[6] من فقهاء مصر البارزين وأخذ عنه.[7]

---

[1] هشام أبو رميلة: علاقات الموحدين بالمسالك النصرانية والدول الإسلامية في الأندلس، ط1، دار الفرقان، عمان، الأردن، 1404هـ/1984م، ص5.

[2] ابن غلبون: المصدر السابق، ص77.

[3] ابن القطان المراكشي: أبو محمد حسن بن علي بن محمد بن عبد الملك الكتامي: نظم الجمان لترتيب ما سلف من أخبار الزمان، تقديم وتحقيق: محمود علي مكي، ط2، دار الغرب الإسلامي، د.م، ص88،90.

[4] عبد الواحد المراكشي: وثائق المرابطين والموحدين، تحقيق: حسين مؤنس، ط1، مكتبة الثقافة الدينية، بورسعيد، 1997، ص79.

[5] عز الدين عمر موسى: الموحدون في الغرب الإسلامي تنظيماتهم ونظمهم، د.ط، دار الغرب الإسلامي، الرياض، د.ت، ص36.

[6] هو أبو بكر محمد بن الوليد الفهري الطرطوشي المعروف بابن ابي رندقة ولد في طرطوشة سنة 451هـ ودرس في بلده وفي سرقسطة وكان تلميذ الفقيه أبي الوليد الباجي وكانت له رحلة إلى المشرق في سنة 476م للحج والدراسة وهو صاحب كتاب سراج الملوك، توفي سنة 520هـ/1126م، ينظر: ابن القطان: نظم الحمان، ص91.

[7] إبراهيم حركات: الغرب عبر التاريخ، ج1، ص246.

كما أخذ عن جماعة من كبار العلماء والفقهاء بالمشرق كالإمام أبي حامد الغزالي الذي أثارت مسألة لقائه به شكوكا[1] وتضاربت الآراء حول ذلك.

رأى بن تومرت في المغرب منطلقه الأوحد لأن المشرق لا يتوفر على أية عصبية سياسية أو قبلية، فالمرحلة التمهيدية كانت بالمغرب الأوسط ثم انتقل إلى المغرب الأقصى رفقة عبد المؤمن[2] وآخرون وفي سنة 514هـ قصد بن تومرت مدينة فاس ليعظ الناس ويقنعهم بمذهبه غير أنه طرد منها.[3]

وفي سنة 514هـ/1121م ارتحل إلى مدينة مراكش لعلمه لا يظهر علمه إلا منها وبعد مناظرة دعاه لها أمير المسلمين علي بن يوسف بن تاشفين اتضح أمره، وأمره بالخروج من المدينة فعظم أمره والتف الناس حوله وأراد الخليفة قتله فرحل إلى تينملل ولحقه أصحابه العشرة وكثر أتباعه وأعلن نفسه المهدي المنتظر وبايعه خلق كثير في جبل درن، وسمى كل من دخل في طاعته وبايعه بالموحدين.[4] ويبدو أنه أطلق هذا اللقب أثناء الحملة العنيفة التي شنها ابن تومرت على المرابطين ورماهم بالكفر والخروج عن الدين وقال إن أتباعه وحدهم هم المسلمون الموحدون ونعت المرابطين بالزراجنة حيث شبههم بطائر اسود البطن أبيض الريش يقال له الزرجان لأنهم بيض الثياب سود القلوب،[5] ويضيف البيذق أنه عند رحيله إلى

---

[1] للتوضيح عن مسألة اللقاء وملابساته ينظر: عبد الغني حروز: المرجع السابق، ص ص268،269.

[2] عبد المؤمن بن علي ينتمي إلى بني مجبر بطن من قبيلة بني عابد إحدى قبائل كومية ولد بقرية تاجرا القريبة من مرسى هنين بساحل تلمسان عام (487هـ/1095م) وبويع بالخلافة سريا بعد وفاة المهدي بن تومرت سنة (524هـ/1130م) وتوفي برباط الفتح (558هـ/1163م) وحمل إلى تينملل ودفن بجوار شيخه المهدي بن تومرت؛ ينظر: أبي بكر بن علي الصنهاجي البيذق: أخبار المهدي بن تومرت وبداية دولة الموحدين، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، 1971، ص ص34،35؛ وينظر: المراكشي: المعجب، ص169؛ ابن غلبون: التذكار، ص78.

[3] إبراهيم حركات: المرجع السابق، ص ص249،250؛ ويضيف البيذق أنه لما كان بفاس كان الطلبة يهرعون إليه من كل مكان ويعلمهم بمسجد يدعى بطريانة، ينظر: البيذق، المصدر السابق، ص23.

[4] ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص 173،175،176،177 وينظر البيذق: المصدر السابق، ص29.

[5] عبد الواحد المراكشي: وثائق المرابطين والموحدين، ص ص80،81.

تينملل بايعه الخليفة عبد المؤمن وآخرون تحت شجرة الخروب،[1] عندئذ جمع له جيشا من عشرة آلاف رجل وقصدوا أغمات،[2] وهزموا جيش علي بن يوسف سنة (516هـ/1122م) فانتشر أمر المهدي بجميع بلاد المغرب والأندلس كما أدخل عدة مناطق في طاعته ثم أمر الموحدين بالخروج لقتال مراكش وجهاد من بها من المرابطين وقدم عليهم عبد المؤمن بن علي ومحمد البشير فصاروا من تينملل إلى أغمات فتلقاهم بها الأمير أبو بكر بن علي بن يوسف اللمتوني في جيوش عظيمة، غير أنه هزم شر هزيمة وتبعهم الموحدون وحاصروهم بمراكش ثم عادوا إلى تينملل سنة 524هـ/1130م فخرج إليهم المهدي يهنئهم بانتصارهم وعلى إثرها مرض وقدم عبد المؤمن بن علي للصلاة في أيام مرضه إلى أن توفي في 524هـ/1130م.[3] ثم قام من بعده عبد المؤمن بن علي الكومي وبايعه المصامدة واتفقت على تقديمه الجماعة.[4] وأجمع عبد المؤمن على غزو بلاد المغرب فغزا غزاته الطويلة منذ سنة 534هـ إلى سنة 541 ولم يرجع فيها إلى تينملل حتى انقضت بالفتح والاستيلاء على المغربين.[5] فبدأ يشن الحملات على حصون المرابطين ويدعوا القبائل لأمره فأغار على درعة وزناته وتادلة....، واشتبك مع المرابطين في معارك ضارية فسقطت تلمسان سنة 539هـ/1145م وفاس (540هـ/1145م) وسلا وسبتة وأغمات وطنجة ومراكش (541هـ/1147م) ووفدت جميع القبائل طائعة لعبد المؤمن،[6] ثم رجع عبد المؤمن من فاس عامدا مراكش فوافته في طريقة بيعة أهل سبتة وفتح مدينة سلا ثم تمادى على مراكش وسرح الشيخ أبا حفص لغزو برغواطة فأثخن فيهم ورجع فلقيه في طريقه وانتهوا جميعا إلى مراكش

---

[1] البيذق: المصدر السابق، ص34.

[2] وهي مدينتان سهليتان: إحداهما تسمى أغمات أيلان يسكنها قبائل مصمودة، أما الثانية فتسمى أغمات وريكة تقع أسفل جبل درن من جهة الشمال وأهلها هوارة من قبائل البربر المتبربرين؛ ينظر: عبد الأحد السبتي وحليمة فرحات: المدينة في العصر الوسيط، ط1، المركز الثقافي العربي، بيروت، 1994، ص 99،100،101.

[3] ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص ص177،178،179.

[4] عبد الواحد المراكشي: المعجب، ص166.

[5] ابن خلدون: تاريخ بن خلدون، ج6، ص306.

[6] عز الدين عمر موسى: الموحدون في الغرب الإسلامي تنظيماتهم ونظمهم، ص ص 42،43.

التي كان عليها يومئذ إسحاق بن علي بن يوسف بن تاشفين –الذي خلف أحد أبناء يوسف ابن تاشفين ولضعفه خلفه عمه إسحاق– فحاصروها ثم قاتلوهم واستولوا على مراكش سنة 541م وانمحى أثر الملثمين.[1] ثم خرج إلى هسكورة فأوقع بهم وافتتح معاقلهم وحصونهم ثم نهض لسجلماسة فاستولى عليها ورجع إلى مراكش.[2] وبعد هذه الانتصارات المتتالية قامت ثورات عنيفة ويقول في هذا ابن خلدون: "ثم خرج إليهم بناحية السوس ثائر من سوقة سلا يعرف بمحمد بن عبد الله بن هود وتقلب بالهادي وظهر في رباط ماسة وفشت ضلالته في جميع بلاد العرب غير أن عبد المؤمن هزمه وقتله وأتباعه سنة 541هـ،[3] وبعد القضاء على سلطة المرابطين بالمغرب الأقصى وإخضاع المغرب الأوسط ما بين سنتي 546هـ و547هـ حيث استعد عبد المؤمن للحملة على "بجاية" فلم يسع أميرها يحي بن عبد العزيز إلا الفرار والاعتصام بقسنطينة ودخلها الموحدون سنة 547هـ/1152م، كما دخل الموحدون قلعة بني حماد عنوة.[4] وفي سنة 553هـ/1158م خرج عبد المؤمن من مراكش قاصدا إفريقية في قوة كبيرة من أجناد الموحدين بالإضافة إلى الأسطول فحاصروا مدينة تونس برا ومن جهة البحر كان عبد الله بن ميمون، وبعدها هاجموها إثر رفض واليها أحمد بن خراسان الصلح ثم أقبلت فئة منهم ليلا تطلب الأمان فأجابهم الخليفة عبد المؤمن أما النصارى فقد خيروا بين القتل أو الدخول في الإسلام وهكذا دخل الموحدون المدينة سنة 554هـ/1159م،[5] ثم سار إلى المهدية وأسطوله يحاذيه في البحر ودارت معركة حامية الوطيس مع الفرنج ثم حاصرها ببناء سور غربي المدينة يمنعهم من الخروج وأحاط الأسطول بها في البحر لتأتي بعدها

---

[1] أبو العباس أحمد بن خالد الناصري السلاوي: الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى، تحقيق وتعليق: جعفر الناصري ومحمد الناصري، د.ط، دار الكتاب، الدار البيضاء، 1418هـ–1997م، ج2، ص ص108،109.

[2] نفسه: ص119.

[3] ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون، ص310.

[4] هشام أبو رميلة: المرجع السابق، ص153،155، كما دخلوا مليانة والجزائر وبونة وقسنطينة، ينظر: عبد الغني حروز: المرجع السابق، ص274.

[5] ابتسام موعي خلف الله: العلاقات بين الخلافة الموحدية والمشرق الإسلامي، د.ط، دار المعارف، د.م، 1405هـ/1985م، ص ص125،126.

إمدادات صاحب صقلية في 150 شينيا غير الطرائد عندئذ خرج إليهم أسطول عبد المؤمن الضخم فاقتتلوا في البحر وانهزمت شواني الفرنج وأخذ منها المسلمون سبع شواني، عندئذ يأس أهل المهدية من النجاة فطلبوا الأمان وساروا إلى صقلية[1] ودخلها الموحدون سنة 554هـ/1159م،[2] ثم افتتح الموحدون قابس وطرابلس المغرب وأرسل إلى بلاد الجريد وهي توزر وقفصة ونفطة والحامة وما إلى هذه البلاد وتم لعبد المؤمن ملك إفريقية كلها فملك في حياته من طرابلس المغرب إلى سوس الأقصى من بلاد المحامدة وأكثر جزيرة الأندلس وهذه مملكة لم تنظم لأحد من قبله.[3]

1-1-المظاهر الحضارية لدولة الموحدين

إن تفوق الموحدين على أعدائهم في الخارج والثائرين في الداخل مكنهم من فرض الأمن والاستقرار في ربوع دولتهم وفي البحر الذي حولهم، والارتباط الواقع بين حالة الأمن والوضع الاقتصادي الذي انتعش بفضل توسع أراضي الدولة وتنوع مناخها، هذا وقد عني الخلفاء بغرس الكثير من البساتين وشجعوا الزراعة وأشركوا الجند في الحصاد وحموا الزراعة من الثورات والفتن.[4]

كما زادت الأراضي في عهد الموحدين إذ لم يكن هناك لا هبة ولا إقطاع، كما كانت سياسة دولتهم محاولة إنزال قبائلهم في المدن دون السهول الزراعية، ونتيجة للاستقرار أقبل الناس على شراء الأراضي واستثمارها سواء في المغرب أو الأندلس[5] فنشطت عملية الزراعة خاصة بالمغرب الأقصى التي كانت تتوفر على أرض خصبة متنوعة المزروعات كمدينة مكناسة وتلمسان وجبال درن ومدينة نفيس ومراكش وقد توفر القمح بطنجة والشعير بأزيلي

[1] السلاوي: الاستقصاء، ج2، ص ص137،138.

[2] ابتسام مرعي خلف الله: المرجع السابق، ص127.

[3] عبد الواحد المراكشي: المعجب، ص ص193،194.

[4] عز الدين عمر موسى: الموحدون في الغرب الإسلامي تنظيماتهم ونظمهم، ص ص51،52.

[5] دندش: الأندلس في نهاية المرابطين ومستهل الموحدين، ص158،159

والذرة وحبوب أخرى بسحلماسة والسمسم وغيره من البقول بأغمات.... والقطن بتادلة والزيتون بمكناسة والفواكه على أنواعها،[1] هذا وقد شمل الازدهار الاقتصادي الجانب المعماري، فقد وصفها صاحب كتاب المن بالإمامة بأنها تتصف بالدقة والتفرد في الصنع مثل مدينة جبل طارق، كما فاقت قصور الخورنق والسدير، وبعد جهد جهيد أصبح الجبل جنة فيحاء تشتمل على جميع الفواكه كالتين والعنب والتفاح والموز.... .[2] ومن ذلك شهدت النهضة الميكانيكية هي الأخرى تطورا ملحوظا، فنرى بأن المهندس الحاج يعيش صنع في أعلى الجبل رحى تسير بالهواء لطحن الأقوات، ضف إليها مدينة المهدية الشاهدة على عظمة الموحدين، أما مراكش العاصمة فقد نالت من عنايتهم الشيء الكثير (قصر الحجر)، وفي الأندلس أعادوا الحياة إلى قرطبة فجددوا دورها وقصورها وشيدوا المعالم وبنوا الأسواق بإشبيلية.... .[3] وتجلت كذلك أبرز مظاهر النهضة في عمليات جلب المياه للمدن والمؤسسات أو المزارع بالإضافة إلى الحصون والمسارات.[4] هذا وقد عُني الموحدون أيضا بصناعة التعدين والإنتاج الميكانيكي والفني وكانت مناجم الحديد بتمسامان وساحل المحيط الأطلسي بين سلا ومراكش وقرب ألمرية وبين شاطية ودانية، وصنعوا أيضا الآلات الحربية من مجانيق وسيوف.[5]

ويشير إبراهيم حركات إلى دخول أفواج بشرية جديدة على المجتمع المغربي كهجرة الأندلسيين الذين سقطت مراكزهم والهلاليين وسائر القبائل العربية من إفريقية هذا ما أدى إلى الامتزاج القبلي، أما الجانب الفكري فقد شجع الموحدون العلم وازدهر نتيجة هجرة الكثير

---

[1] حسن علي حسن: الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس، ص236 _ 242.

[2] أبو مروان عبد المالك بن محمد الباجي ابن صاحب الصلاة: تاريخ المن بالإمامة على المستضعفين بأن جعلهم الله أئمة وجعلهم الوارثين، تحقيق: عبد الهادي التازي، د.ط، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، د.ت، ص51.

[3] نفسه: ص ص 51،52.

[4] عز الدين عمر موسى: الموحدون في الغرب الإسلامي تنظيماتهم ونظمهم، ص53.

[5] إبراهيم حركات: المغرب عبر التاريخ، ج1، ص ص337،338.

من العلماء والأدباء من القيروان والأندلس إلى المغرب بسبب إنفاق الدولة وبسخاء على طلاب العلم وتوفير المعاهد ووضع تحت تصرفهم خزائن الكتب.... .[1]

2-البحرية في عهد الموحدين:

بعد أن تمت الخلافة لعبد المؤمن بن علي (524-558هـ/1130-1163م) بدأ عملياته العسكرية في المغرب والأندلس، إذ كان من الطبيعي لهذه القوة الموحدية الفتية أن ترنوا بأبصارها شمالا عبر المضيق نحو الأندلس، وشرقا عبر المغرب العربي الكبير كي يتم لها توحيد المغرب الإسلامي وتكتيله ضد القوى الصليبية في البر والبحر.[2] وفعلا تم لها ذلك فقد عرفت البحرية الموحدية شأنا عظيما في عهد عبد المؤمن بن علي فقد استحوذ على سائر أسطول المرابطين بعدته ورجاله، ومنهم علي بن علي بن ميمون الذي نزع طاعة لمتونة وانتزى بجزيرة قادس ودخل في دعوة عبد المؤمن وأعلن دخوله في طاعته وخطب له بجامع فاس،[3] هذا وقد أولى عبد المؤمن اهتمامه بالبحرية فأمر بإنشاء الأساطيل في جميع سواحل بلاده وعزم على غزو بلاد الروم في البر والبحر فأنشأ منها 400 قطعة في حلق المعمورة (المهدية اليوم) ومرساها 120 قطعة، ومنها في طنجة وسبتة وبادس -مدينة ساحلية بشاطئ البحر المتوسط- ومراسي الريف 100 قطعة، وبلاد الأندلس 80 قطعة.[4]

ومن مظاهر اهتمام عبد المؤمن بالأمور الحربية والأسطول، أنه أنشأ مدارس حربية لتخريج القادة الأكفاء والبحارة المدربين على استعمال السلاح وركوب الخيل والسباحة

---

[1] إبراهيم حركات: المغرب عبر التاريخ: ج1، ص334،349،350؛ وينظر: محمد المنوني: حضارة الموحدين، ط1، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، 1989، ص14.

[2] أحمد مختار العبادي: دراسات في تاريخ المغرب والأندلس، ص329.

[3] ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون، ج6، ص312.

[4] ابن أبي زرع: روض القرطاس، ص201.

وأساليب الحصار برا وبحرا،[1] كما كان يجمعهم في قصره ويمتحنهم ويشجعهم على القتال في البحر والتجذيف وقيادة السفن والوثب إلى سفن العدو... .[2]

ومن مظاهر اعتناء عبد المؤمن كذلك بالأسطول أنه قام بمسح أراضي مملكته وفرض على كل ولاية الضرائب حسب ثروتها وحالتها وكذلك ما يجب أن تقدمه كل ولاية من الجند،[3] كما نظر في استجلاب الخيل والاستكثار من أنواع السلاح والعدد وأمر بضرب السهام بكثرة[4] ولم يلق عبد المؤمن صعوبة في ضم الأجزاء الغربية والوسطى من الأندلس وأعلن أمرائها ولائهم للموحدين وكانت ولاية شريش في طليعة هذه الولايات (539هـ/1144م) وسمى أصحابها بالسابقين الأولين وصاروا مقدمين على غيرهم في التشريفات الملكية.[5]

وفتح عبد المؤمن لبلة وشلب ثم نهض إلى باجة وبطليوس كما اجتمع إليه سائر الثوار وحاصروا إشبيلية.[6] واستولوا في طريقهم صلحا على طلياطة وحصن القصر –وهما قلعتا إشبيلية من الغرب– ثم ضربوا الحصار فمن جهة البحر سفن الأسطول الأندلسي بقيادة علي بن عيسى بن ميمون صاحب قادس وفي الجهة المقابلة القوات الأخرى عندئذ اقتحم الموحدون المدينة وفتحوها سنة 541هـ/1147م.[7] وعلى إثر افتتاحه لها قدم إليه وفد كبير من إشبيلية يحملون إليه طاعتهم وعلى رأسهم القاضي ابو بكر بن العربي المعافري (ت543/1147م)، كما بعث والي قرطبة ميمون بن بدر اللمتوني بعرض تسليم المدينة إلى عبد المؤمن الذي بعث إليها السيد ابا سعيد والي سبيتة والجزيرة الخضراء وتسلمها سنة

---

[1] فتحي زغروت: الجيوش الإسلامية وحركة التغيير في دولتي المرابطين والموحدين، ص291.

[2] يوسف أشباخ: تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين، ج2، ص51.

[3] فتحي زغروت: المرجع السابق، ص291.

[4] السلاوي: الاستقصا، ص143.

[5] أحمد مختار العبادي: دراسات في تاريخ المغرب والأندلس، ص329.

[6] ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون، ص313.

[7] محمد عبد الله عنان: دولة الإسلام في الأندلس، عصر المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس، ط2، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1411هـ/1990م، ص328.

551هـ/1156م،[1] كما استولوا على المدية بعد حصارها برا بقيادة السيد أبا سعيد عثمان وبحرا بأسطول سبتة وقائده عبد الله بن سليمان عندئذ شعر النصارى بالخوف فاستصرخوا بالفونسو السابع وحليفه محمد بن سعد بن مردنيش[2] –الذي كانت له علاقات حميمة مع النصارى ولقبه البابا بصاحب الذكر الحميد– اللذين أتيا على رأس قوة عظمى غير أنهما مني بخيبة كبيرة وانتصر الموحدون.[3] وفي عام 555هـ/1160م وجه ابن مردنيش جيشا بقيادة صهره إبراهيم بن همشك إلى قرطبة وأهلكها وهاجم قرمونة واستولى عليها وسيطر على غرناطة بمعاونة يهود المدينة ووصل صريخ الموحدين المحاصرين بالقصبة إلى الخليفة عندئذ التقى الجمعان بموضع يسمى مرج الرقاد وانهزم الموحدون لكثرة قوات ابن همشك والنصارى، غير أن الموحدون أعادوا الكرة ونظموا قواتهم وهزموا ابن همشك وأنصاره في السبيكة سنة 557هـ/1161م.[4] كما استأنف ابن مردنيش الحرب لاستعادة غرناطة غير أنه هزم مرتين متتاليتين وفي هذه الأثناء دعى عبد المؤمن الجند إلى الجهاد في إسبانيا كما قام بحشد أسطول ضخم من أربعمائة سفينة أعدت في ثغور المغرب لنقل الجيوش ولكي تعاون في الأمور الحربية بالأخص غير أنه توفي بعد مرض شديد سنة 558هـ/1163م.[5]

وبفضل القوة البحرية التي أوجدها عبد المؤمن واصل خلفاؤه بسط سيادتهم على الحوض الغربي للمتوسط وحافظوا على هيبة الإسلام فيه،حيث تعتبر فترة حكمه العصر الذهبي لدولة الموحدين والتي وطد فيها دعائم الأمن والاستقرار في كلا العدوتين.

---

[1] محمد عبد الله عنان: المرجع السابق، ص225.

[2] هو عبد الله بن سعد بن محمد بن سعد الجزامي بن مردنيش ولد بلقلعة بنشكلة سنة –إحدى قلاع طرطوشة سنة 518هـ/1124م، وكان والده واليا للمرابطين على مدينة إفراغة، تولى إمرأة بشرق الأندلس بعد وفاة القاضي عبد الرحمان بن عياض سنة 542هـ/1147م، ينظر: هشام أبو رميلة، المرجع السابق، ص107.

[3] معمر الهادي محمد القرقوطي: جهاد الموحدين في بلاد الأندلس، د.ط، دار هومة، بوزريعة، الجزائر، 2005، ص101.

[4] نفسه: ص ص105، 106.

[5] يوسف أشباخ: المرجع السابق، ج2، ص61،62، وينظر: الاستقصا، ص ص143،144.

وبعد وفاة عبد المؤمن بن علي، تولى زمام الخلافة من بعده ابنه أبي يعقوب يوسف سنة 558هـ/1163م وفي هذه السنة كانت وقعة "الجلاب" بالأندلس بين السيد أبي سعيد بن عبد المؤمن وجيوش الفرنج مع ابن مردنيش فهزم ابن مردنيش وقتل الفرنج بأجمعهم.[1] وفي سنة 563هـ اجتمعت الأمة على طاعة أبي يعقوب يوسف وتسمى بأمير المؤمنين وفي سنة 567هـ/1172م مات محمد بن مردنيش صاحب بلاد شرق الأندلس ففتح أمير المؤمنين بلاده بأجمعها ودان له جميع بلاد شرق الأندلس.[2] وعلى الرغم من أن الصراع الموحدي مع ابن مردنيش كان في مجمله بالقوات البرية غير أن الموحدون استفادوا منه من خلال الاستفادة من الأخشاب بهاته المناطق وموانئها، واستولوا على أسطول ابن مردنيش ومهما كانت سفنه قليلة وبذلك أيضا سيطروا على ثغور الأندلس البحرية الساحلية (المرية، دانية، مالقة....)،[3] ولما مات ابن مردنيش جاء أولاده وأهله إلى أمير المؤمنين يوسف بن عبد المؤمن وهو بإشبيلية فدخلوا تحت حكمه وسلموا لأحكامه البلاد فصاهرهم وأحسن إليهم وأصبحوا عنده في أعز الناس.[4]

ولما استوسق الأمر للخليفة بالعدوة وصرف نظره إلى الأندلس والجهاد بعث إليه إبراهيم بن همشك من جيان بطاعته وتوحيده ومفارقته صاحبه ابن مردنيش لما حدث بينهما من فتنة فألح عليه ابن مردنيش بالحرب والغزو فبعث إلى الشيخ أبي حفص بطاعته،[5] هذا وقد سجل أسطول الموحدين في عهد الخليفة أبي يعقوب يوسف نشاطا ملموسا في جهة "البرتغال" التي اشتدت عداوتهم وتكررت على حدود المسلمين بالأندلس فبعث أسطوله المرابط بسبتة بقيادة غانم بن مردنيش فغزى أشبونة فغنم منها ورجع، ثم أنزل هزيمة ساحقة

---

[1] السلاوي: الاستقصا، ج2، ص ص146،147، وينظر: المراكشي: المعجب، ص209.

[2] ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص ص210،211.

[3] توفيق مزاري: المرجع السابق، ص119.

[4] أحمد بن محمد المقري التلمساني: نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تحقيق: إحسان عباس، د.ط، دار صادر، بيروت، 1408هـ/1988م، ج4، ص ص378،379.

[5] ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون، ج6، ص ص320-321، وينظر: ابن صاحب الصلاة: نفسه، ص312.

بالبرتغال سنة 577هـ/1181م قتل فيها قائد الأسطول البرتغالي روبينيو واستولوا على عدد من السفن والأسرى وكان للأسطول الموحدي وحدات كبيرة ترابط في المعمورة وسبتة وتونس ومالقة وقادس.[1]

كما فتح أمير المؤمنين أبو يعقوب يوسف قفصة سنة 577هـ، وفي سنة 558هـ خرج من فاس إلى سبتة وأمر بالجواز إلى الأندلس فنزل بجبل الفتح ثم إلى الجزيرة الخضراء ثم إلى إشبيلية، وغزا مدينة شنترين،[2] من بلاد غرب الأندلس فهزم فيها الفرنج وطعن على إثرها أمير المؤمنين أبي يعقوب يوسف ثم ارتحل المسلمون فقصدوا إشبيلية وأراد الأمير العبور إلى المغرب فاشتد ألمه ومات سنة 580هـ/1184،[3] ولما مات يوسف قام بالأمر من بعده ابنه يعقوب المنصور بن يوسف بن عبد المؤمن فقام بالأمر أحسن قيام وهو من أظهر أبهة الموحدين وكثرت الفتوحات في أيامه ففتح شلب التي ملكها الافرنج وهادن صاحب طليطلة وصالحه،[4] ولما انتقضت الهدنة بينه وبين الفرنج والفونسو صاحب غرب الأندلس وقاعدة طليطلة عزم وهو بمراكش أن يتوجه إلى الأندلس ويحارب الفرنج سنة 590هـ فاستجمع كل من الطرفين قواته وحلفائه والتقيا في "حصن الأراك" فهزمت الكتيبة الأولى للفرنج شر هزيمة وزحف المنصور تحت قرع وأصوات التكبير واقتحم الحصن عنوة وهزم الفرنج شر هزيمة وحاصر المنصور طليطلة وفتح عدة حصون وأحواز،[5] وفي سنة 580هـ خرج الميرقيون

[1] فتحي زغروت: المرجع السابق، ص292. هذا وانهزم كذلك القطلونيون قرب طرطوشة أمام الأسطول الموحدي الذي أحرز فيها الكثير من ضروب التفوق والنجاح، ينظر: إبراهيم حركات: المغرب عبر التاريخ، ج1، ص331.

[2] وهي مدينة تقع في غربي الأندلس بينها وبين باجة أربعة ايام وهي مدينة حصينة ملكها القرنج سنة 543هـ، ينظر: ابن غلبون: التذكار، ص88.

[3] السلاوي: الاستقصا، ج2، ص ص143،154،156.

[4] المقري: نفح الطيب، ج4، ص380.

[5] السلاوي: الاستقصا، ج2، ص185،187،190.

بنوغانية،[1] من جزيرة ميورقة قاصدين احتلال بجاية فملكوها وأخرجوا من بها من الموحدين[2] ثم مليانة وقلعة بني حماد وحاصروا قسنطينة فنظم عندئذ الخليفة المنصور حملة برية وبحرية واسترجع المدن التي احتلها ابن غانية،[3] ولم يقف الصراع عند هذا الحد وحسب بل أدى حتى إلى تحالف بنو غانية مع شرف الدين قراقوش –من رجالات صلاح الدين الأيوبي بمصر– واتفقوا على التعاون واقتسام البلاد بينهما سنة 581هـ وساعدهم في ذلك قوات صلاح الدين إلى قراقوش، فاستولى بنوغانية على بلاد الجريد، وطرابلس ونفوسة فاستعد الخليفة يعقوب المنصور والتقى الجيشان "بعمرة" وعلى إثرها انهزم الموحدون لقوة العدو وكثرة عدده.[4]

وعلى إثر ذلك قرر الخليفة يعقوب المنصور التوجه على رأس جيشه فتمكن من إلحاق الهزيمة بابن غانية وحلفائه في معركة الحامة في 583هـ/1187م ثم تتبع ابن قراقوش وحاصره في قابس حتى استسلم واسترجع مدن توزر وقفصة وهدم أسوارها وتتبع مضارب القبائل العربية المتحالفين بالتخريب،[5] واستأنف المنصور حركته الجهادية في 587هـ/1191م بمملكة البرتغال فهاجمها برا وبحرا ولم يجرؤ ملكها سانشو انريكث (ابن الرنك) على مواجهة المنصور الذي أحرز نصرا باهرا على الأسطول البرتغالي واسترد شلب وقاعدة قصر أبي دانس،[6] ولعل أهم ما يؤكد على قوة الموحدين البحرية هو إرسال عاهل مصر صلاح الدين الأيوبي إلى يعقوب المنصور بطلبه فيها إلى إعانته بأساطيل لكي تحول

---

[1] كانوا في الأصل من قبيلة مسوفة الصنهاجية ومن كبار قواد المرابطين في الأندلس وعرفوا ببني غانية نسبة إلى أمهم غانية وقد ظل هؤلاء شوكة في حلق الموحدين مدة طويلة، إلا أنهم كانوا كذلك غزاة بحريين ضد القوى الصليبية (قطلونيا وجنوب فرنسا...) ينظر: العبادي: دراسات في تاريخ المغرب و الأندلس، ص331.

[2] المراكشي: المعجب، ص223.

[3] أحمد المغراوي: الموحدون وأزمات المجتمع، ط1، جذور للنشر، د.م، 2006، ص102.

[4] معمر الهادي محمد القرقوطي: جهاد الموحدين في بلاد الأندلس، ص ص181–183.

[5] أحمد المغراوي: الموحدون وأزمات المجتمع، ص103.

[6] عبد العزيز سالم وأحمد مختار العبادي: تاريخ البحرية الإسلامية في المغرب والأندلس، ص ص276،277.

بين أمداد النصرانية بالشام ولمنازلة الثغور القريبة من بيت المقدس،[1] وبعد هذه الأعمال والانتصارات الخالدة، توفي الخليفة المنصور سنة 595هـ/1199م.[2]

وتولى الخلافة بعد يعقوب المنصور ولده أبو عبد الله الناصر محمد بن يعقوب المنصور الذي توجه من فوره لقمع حركة ابن غانية بإفريقية الذي استولى على بلاد الجريد والقيروان وصفاقس وقابس وتبسة وطرابلس، فتحركت جيوش الموحدين بقيادة الناصر ودخلوا إفريقية سنة 600هـ وفتحوها، كما وجه أسطولا ففتح ميورقة ويابسة، وميورقة التي استردها النصارى فيما بعد.[3]

لتعود الممالك المسيحية –فرنسا، إيطاليا، ألمانيا، البرتغال– وتتحالف في جبهة واحدة برئاسة مملكة قشتالة والدعوة لحرب صليبية عقب هزيمة الأراك والثأر لها، فتسامع الخليفة أبو عبد الله محمد الناصر بهذا وأعد جيشا كبيرا وعبر الأندلس فوصل إشبيلية وفتح قلعتي اللج وشلبطرة التابعتين لمملكة قشتالة سنة 608هـ/1211م، إلا أنه بعمله هذا جعل الفونسو الثامن ملك قشتالة يرسل الأسقف جيراردو إلى البابا إنوسنت الثالث الذي دعا إلى حملة صليبية واسعة النطاق،[4] وقد غصت مدينة طليطلة مركز التجمع الصليبي بالحشود الأوروبية التي بلغت ما يزيد عن سبعين ألف مقاتل تحدوهم النصرة والروح الصليبية.[5]

فهاجموا حصن مجلون وقتلوا جميع من فيه وتسلموا قلعة رباح مع ما فيها من كميات كبيرة من المؤن،ثم تعود لتسقط القلعة ويغادر محمد الناصر مع جيشه الرئيسي مدينة جيان

---

[1] السلاوي: الاستقصا، ج2، ص182، غير أن بعض المؤرخين يرون أن المنصور قد رفض أن يجيب صلاح الدين إلى طلبه لأنه لم يعترف به ولم يخاطبه بلقب أمير المؤمنين عند إرساله الخطاب مع رسوله. ينظر: أحمد مختار العبادي: دراسات في تاريخ المغرب والأندلس، ص117.

[2] المقري: نفح الطيب، ج4، ص382.

[3] إبراهيم حركات: المغرب عبر التاريخ، ج1، ص ص281،282.

[4] عصام محمد شبارو: الأندلس من الفتح العربي المرصود إلى الفردوس المفقود، ص ص267،268.

[5] معمر الهادي محمد القرقوطي: المرجع السابق، ص ص229،230.

نحو بياسة ثم انتقل إلى سهل تولوزا وقسم جيشه وفق الأوضاع الموحدية إلى خمس فرق ولما تأهب واستعد أعطى الإشارة للقتال والهجوم والتقى الجمعان في معركة حامية استشهد فيها الألوف من المسلمين وسرعان ما غادر الأندلسيون وفروا فوقع اضطراب عظيم في جيش المسلمين وحطمت دائرة دفاعهم وكانت هزيمة المسلمين فادحة ،تلك هي "وقعة العقاب" سنة 609هـ/1212م[1] وبهذه الواقعة المشؤومة لم تقم للمسلمين بعدها قائمة تحمد،[2] فعاد على إثرها الناصر مسرعا إلى مراكش عين ابنه يوسف واليا للعهد واختلى في قصره إلى أن توفي سنة 610هـ/1213م ولم يكن انعزاله في قصره إلا اعتراف ضمنيا بالعجز عن تدارك الخلل وعند اعتلاء ابنه الكرسي تسارعت وتيرة الأحداث وتداعت أسباب التمزق والانحلال،[3] ويشير المقري إلى حلفاء ما بعد الناصر وإيثارهم للدعة والراحة والضعف لتنقرض بهم وبأفعالهم الدولة المؤمنية[4] وكانت بذلك الأندلس بحق من الفتح العربي المرصود إلى الفردوس المفقود وتمزقت وكانت هباءا منثورا....

وقد شجعت هذه الحالة على قيام بعض الرؤساء الأندلسيين بمحاولة الاستقلال بحكم الأندلس بغية إنقاذها من تلك النكسة أمثال: أبو عبد الله محمد بن يوسف بن هود الجذامي،[5] الذي تلقب بالمتوكل واستولى على مرسية وشاطبة ودانية وجيان....، وبايعه أهل قرطبة وأخرجوا منها الموحدين ليظهر له منافسان آخران قاما بنفس ما فعل وهما أبو جميل زيان بن أبي الحملات ومحمد بن يوسف بن محمد بن خميس الناصري المعروف بابن الأحمر

[1] أشباخ: المرجع السابق، ج2، ص112،114،115،118،120،121.

[2] المقري: نفح الطيب: ج4، ص383.

[3] عبد الله العروي: مجمل تاريخ المغرب، ط2، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، 2000، ج2، ص176.

[4] المقري: نفح الطيب، ج4، ص384.

[5] السيد عبد العزيز سالم وأحمد مختار العبادي: تاريخ البحرية الإسلامية في المغرب والأندلس، ص284.

ويكون هؤلاء الثوار بأفعالهم يذكون خلافاتهم ومصالحهم الداخلية على حساب تمزق وضياع الأندلس وفي الجهة الأخرى نرى انتزاء النصارى وانتهازهم للفرص للانقضاض عليها.[1]

2-1-نظم البحرية في العهد الموحدي:

قيادة الأسطول:

يقال لمجموع السفن الحربية "الأسطول" وهو لفظ يوناني الأصل يلفظ Stoles وكان يطلق أحيانا على المراكب الحربية المجتمعة ولكل أسطول قائد ورئيس ويقال له أمير البحر أو أمير الماء وأما الرئيس فيقال له الربان وهو رئيس الملاحين والملاح هو الذي يلي الشراع.[2]

هذا وكانت القيادة تعقد في غالب الأحيان لأبناء الخليفة (السادة) أو الشيوخ الموحدين أو أبنائهم وكان لكل قبيلة وحامية قائدها، ويقود الخليفة الجيش في المعارك المهمة[3] ولعل أهم ما يثير الانتباه عند ذكر الأسطول والقادة يتبادر إلى الأذهان أشهر أسرة لعبت وتمرست على أعواد وأمواج البحر وهي أسرة بني ميمون الرائدة.

وكان أول من انضم منهم إلى الموحدين القائد علي بن عيسى بن ميمون الذي خلع طاعة المرابطين وعبر البحر سنة 540هـ/1145م وقدم طاعته للخليفة عبد المؤمن بن علي، وهو إذ ذاك كان قائما على حصار فاس وبعد تقديمه الطاعة عاد إلى قادس وأقام بها الخطبة للموحدين وهي أول خطبة لهم بالأندلس، هذا دون أن ننسى والده عيسى بن ميمون الذي دخل هو الآخر في طاعة الموحدين الذي أسندت إليه ولاية شنتمرية الغرب وشارك في

---

[1] معمر الهادي محمد القرقوطي: جهاد الموحدين في بلاد الأندلس، ص ص255-258.

[2] محمد ياسين الحموي: تاريخ الأسطول العربي، د.ط، دار فؤاد هاشم الكتبي، دمشق، 1364هـ/1945، ص ص47،48.

[3] دندش: المرجع السابق، ص147.

غزو شلب،[1] ومن كبار قادة الأسطول الموحدي أيضا عبد الله بن سليمان في عهد المؤمن الذي لعبه على رأس أسطول لاستكشاف أحوال البلاد ومنازلة النصارى وفتح المهدية سنة 555هـ[2] وقد استفاد كذلك الموحدون من خبرة آل مردنيش في الشؤون العسكرية فعين أبو يعقوب يوسف قائد البحر غانم بن مردنيش قائد لأساطيل العدوة بسبتة[3] فغزا شواطئ البرتغال وثغورها واستولى على سفينتين من سفن البرتغال بالإضافة إلى عدة اشتباكات ضدهم،[4] وبعد أن أمر عبد المؤمن بإنشاء الأساطيل في كافة أرجاء مملكته عظم سلطانه وكثرت أساطيله والتي كان عليها القائد أحمد الصقلي أصله من صدغيار الموطنين بجزيرة جربة من سرويكش أسره النصارى ثم فر إلى تونس ونزل فتلقاه الخليفة يوسف بن عبد المؤمن وقلده أمر أساطيله ونمت علي يده،[5] كذلك من أمراء البحر في عهد الناصر نجد ابن طاع الله الكومي وأبو العلاء إدريس بن يوسف بن عبد المؤمن ويحي بن أبي زكريا الهزرجي وبواسطة هؤلاء القادة الأكفاء تمكن الموحدون من افتتاح الجزر الشرقية وفتحوا أقطار الشمال الإفريقي.[6]

الجيش البحري

لقد كان الجيش محل اهتمام الخلفاء الموحدين من حيث العدد والعدة لأجل هذا أنفق الخليفة عبد المؤمن الكثير من الأموال لتغطيته، فقد بلغ عدد جنده 100 ألف حين عزم على

[1] علي قنبر إلياس: المرجع السابق، ص ص427،428.

[2] إبراهيم حركات: المغرب عبر التاريخ، ج1، ص ص330،331.

[3] معمر الهادي محمد القرقوطي: المرجع السابق، ص141.

[4] فتحي زغروت: المرجع السابق، ص292.

[5] محمد ياسين الحموي: تاريخ الأسطول العربي، ص135.

[6] إبراهيم حركات: المرجع السابق، ص ص330،331.

غزو إفريقية ونفس العدد اجتمع له حين عزم الخروج إلى الأندلس سنة 557هـ/1162م، وبلغ جيش الناصر الذي خرج إلى الأندلس سنة 608 هـ. بلغ المليون جندي.[1]

وقد ضم الجيش الموحدي عدة عناصر فكان هناك الموحدون الأوائل وهم القبائل السبعة وهم صنفين الأولى: المرتزقة ويقيمون بمراكش ولا يبرحونها والصنف الآخر ويدعى العموم وهم الكائنون ببلادهم لا يحضرون إلا في النفير الأعظم، كما ضم الجيش بقايا الجيش المرابطي من صنهاجة والسودان والروم والعرب، وكانت تصرف للجند المرتبات والمنح أثناء القيام بالحملة[2] وقد اتخذ الجيش الموحدي طابعه الكامل في عهد عبد المؤمن بن علي الذي أبقى فقط على مجلس الخمسين والسبعين وكانوا أهل جبال يعتمدون في حركاتهم على أنفسهم لا على دوابهم وقد أولى عبد المؤمن عنايته الخاصة بتدريب الجند والقواد وعند الحرب يعقد لهم مجلسا حربيا لبحث سير وأسباب المعركة والتخطيط لها.[3]

ويضيف المستشرق يوسف أشباخ إلى أن دعامة الجيش الموحدي كانت من المشاة وكانت نواة الجيش تتألف من الجند النظاميين والحرس الذين يتألفون من العبيد ورجال القبائل بالإضافة إلى الأندلسيين وحرس الأسبان وكانت أهم فنون الحرب لديهم هي الكمائن ويجيدون التجسس على العدو ويرتبوا خططهم على ذلك الأساس، وكان نظام المعركة يقوم على نظام التربيع وكل قسم من الجيش يوضع تحت إمرة قائد خاص ويؤلف جانبا من الزوايا الأربع لترتيب المعركة.[4]

[1] حسن علي حسن: الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس، ص211.

[2] دندش: المرجع السابق، ص ص146،147.

[3] حسن إبراهيم حسن وعلي إبراهيم حسن: النظم الإسلامية، ص ص197،198.

[4] أشباخ: تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين، ج2، ص ص244،245.

أسلحة الجيش

استعمل الموحدون الأسلحة التقليدية من سيوف وحراب وسهام ودرق وكان يصنع من السهام وحدها عشرة قناطير يوميا، كما استخدموا المنجنيقات في فن الحصار التي تقذف الأحجار الضخمة على الأسوار وتفتكها وربما استخدموا آلات نارية لإسقاط الأبراج،[1] هذا بالإضافة إلى الرماح الطوال والدروع والبيضات والتروس[2] ويشير صاحب كتاب النظم البحرية إلى أن قوة الجيش الرئيسية من المشاة النظاميين الذين يقفون في مقدمة الجيش كانوا يتسلحون بحراب طويلة ويليها صفوف من الجند تسلحوا بالسيوف وعليهم الدروع ثم يليهم حملة النبل والقسي،[3] والملاحظ أن الأسلحة على عهد الموحدين أو من قبلهم المرابطين هي أسلحة تكاد تكون بدائية تقليدية تمثل بداوتهم ضف إلى ذلك أنها متشابهة في كلا العهدين. كما لا تختلف أسلحة الأسطول عن أسلحة الجيش، غير أننا كذلك نجهل لباس جند البحرية ولا نعرف هل اتخذوا لباسا مميزا عن لباس الجيش؟.[4]

ولقد استفاد الموحدون من الكم التسليحي المرابطي فقد كانوا حريصين على إعداد كميات كبيرة من الأسلحة قبل كل معركة، وقد اختصت مدينة "طليطلة" في صناعة السيوف وقرطبة صنعت دار لصناعة الأسلحة فيها حرفيين ومختصين تصنع فيها السهام والرماح والمزاريق بالإضافة إلى "سبتة" كذلك.[5]

---

[1] إبراهيم حركات: المغرب عبر التاريخ، ج1، ص ص328،239.

[2] دندش: المرجع السابق، ص148.

[3] حسن إبراهيم حسن وعلي إبراهيم حسن: المرجع السابق، ص208.

[4] ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج10، ص268.

[5] حسني بولعراس: المرجع السابق، ص34.

الصناعة البحرية وأنواع السفن

لم يهتم الموحدون بتكوين أسطول في دور تأسيس دولتهم ذلك أن صراعهم مع المرابطين كان حول المناطق الداخلية وكان كذلك هجومهم يشمل المدن والحصون الساحلية ولا حاجة لهم بالأسطول، ولم ترد كذلك في المصادر إشارة إلى وجود الأسطول في الصراع المرابطي الموحدي ويبدو أن عبد المؤمن بن علي لم يكن يفكر في تكوين أسطول موحدي إلا بعد فتح مراكش حينما بدأ يخطط لفتح المغربين الأوسط والأدنى والأندلس فشرع في بناء السفن في سواحل دولته.[1]

واهتم الموحدون بالأسطول وصناعته فهم مضطرون دائما للاتصال بإفريقية والأندلس ونقل المئات من الجند بين الفترة والأخرى وكانت القطائع المختلفة كالغراب الطيار والمراكب الثقيلة ولهذا كانت المصانع منتشرة في كل جهة من الأندلس والمغرب.[2]

وكان أهمها دار الصناعة بقصر "مصمودة" وكانت تصنع بها المراكب والحراريق المعدة للنقل إلى الأندلس، بالإضافة إلى المسطحات وهي عبارة عن سفن ضخمة تجري وراء السفن الصغيرة لإنقاذها في حالة الخطر وكانت هناك الزوارق والشلنديات والتي هي سفن كبيرة لحمل الأسلحة والمجاهدين، هذا بالإضافة إلى دار صناعة الحبلات والتي تقع قرب وادي فاس وكان يصنع بها القوارب وصغار المراكب،[3] كما أنشأ الخليفة عبد المؤمن بن علي مدينة بحرية حصينة على سفح جبل طارق سنة 555هـ/1160م وسماها مدينة "الفتح" لتكون قاعدة عسكرية كبرى لتجمعات جيوشه القادمة من المغرب،[4] وقد ساهمت مثل هذه القواعد والموانئ حتى في تنشيط الحركة التجارية فقد كانت الرباط وطنجة تشكلان أهم

[1] عز الدين عمر موسى: الموحدون في الغرب الإسلامي تنظيماتهم ونظمهم، ص265.

[2] بن صاحب الصلاة: المن بالإمامة، ص53.

[3] إبراهيم حركات: المرجع السابق، ج6، ص330.

[4] وفيق بركات: المرجع السابق، ص172.

موانئ المغرب وكانت طنجة تصدر الصوف والجلود والفواكه وتستورد الثياب والأسلحة والخردوات وكانت أهم موانئ الموحدين الحربية تنتقل منها السفن إلى تونس والأندلس.... ،[1] ولكثرة ما عم الرخاء مرافق الحياة نرى بأن القواعد الحربية الكبرى كقاعدة "المعمورة" مثلا تتوفر على جميع ما يمكن أن تحتاج إليه الأساطيل المغربية بل إن المواد الغذائية المخزونة فيها قد تفي دون الحاجة إليها،[2] ضف إليها مدينة "سلا" المحصنة والغنية طبيعيا كمرسى له واجهة على النهر وأخرى على البحر جعل منها ذات أهمية عسكرية وسياسية وأصبحت بحكم الوضع التاريخي مركز جهاد قائم واتخذت كقاعدة برية لقربها من مضيق جبل طارق ومن إسبانيا لذلك نرى الخليفة عبد المؤمن يحرص على افتتاحها سنة 540هـ/1156م.[3]

كما اشتهرت طرطوشة بجبالها العامرة بغابات الصنوبر الرفيع ومهر أهلها في صناعة المراكب الكبار من خشب الصنوبر، كما أنشأت في دانية السفن خاصة أنها كانت ميناء ومرسى مهم.[4]

ولقد وجه عبد المؤمن بن علي عنايته نحو إنشاء وتعمير المراسي ودور الصناعة المنتشرة على طول السواحل المغربية والأندلسية فتوفرت لديه خامات الحديد والخشب وكل ما هو ضروري لبناء السفن في جبال وغابات العدوتين ومن ثم استطاع أن ينشأ أقوى أسطول في البحر المتوسط،[5] كما أنشأ الموحدون دورا للصناعة في مراكش وسواحل الأندلس وكان الغرض منها إنشاء أسطول كبير لحفظ المواصلات بين المغرب والأندلس ونقل الجنود

[1] إبراهيم حركات: المرجع السابق، ج6، ص339.

[2] ابن صاحب الصلاة: المصدر السابق، ص53.

[3] محمد زنيبر: المغرب في العصر الوسيط، ط1، منشورات كلية الأدب، الرباط، 1420هـ/1999م، ص ص308،311.

[4] دندش: المرجع السابق، ص187.

[5] أحمد مختار العبادي: دراسات في تاريخ المغرب والأندلس، ص336.

وأشهرها: طرابلس والقيروان وسوسة،[1] وقد غنم كذلك الموحدون سفن أعدائهم من المرابطين والصقليين والميورقيين والنصارى والأسبان وضموا إلى ممتلكاتهم.[2]

3-أسلوب فن الحصار الحربي

الظاهر من خلال استعراض قوة المرابطين لم يكونوا مهرة في آلات الحصار وطرائق رميها وفنونها ويرجع السبب في ذلك إلى أن دعامة قوتهم كانت ترتكز إلى "الفرسان" وهم قليلي الخبرة في فن الحصار،[3] على العكس من الموحدين الذين تفوقوا كثيرا في فن الحصار وكانت أمنع المدن تتحطم أمام آلات الحصار والقذف التي كانوا يستعملونها وكان عبد المؤمن بن علي معلما في هذا الفن الحربي، ففي حصار فاس التي قاومت أسوارها المتينة كل جهوده فاستعان على إسقاطها بمياه النهر التي حجزها في خزانات وأطلقها فجأة في مجاري صناعية على أسوار المدينة، وأحرق وأسقط أبراج وهران بواسطة نار محرقة يؤيدها قصف الآلات، وأفتتح المهدية بوسائل مماثلة بالرغم من سماكة جدارها وكذلك مراكش بالرغم من قلاعها الحصينة،[4] كما كانت هناك وسيلة أخرى وهي الحصون والقلاع والتي انتشرت من مراكش في الجنوب حتى مدينة فاس في الشمال ومن تلمسان في الشرق إلى طنجة في الغرب، بالإضافة إلى الأسوار التي لعبت دورا في حماية المدن المغربية.[5]

---

[1] محمد ياسين الحموي: تاريخ الأسطول الغربي، ص22.

[2] عز الدين عمر موسى: الموحدون في الغرب الإسلامي تنظيماتهم ونظمهم، ص266.

[3] يوسف أشباخ: تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين، ج2، ص237.

[4] حسن إبراهيم وعلي إبراهيم حسن: النظم الإسلامية، ص199.

[5] حسن علي حسن: الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس، ص392،394.

خاتمة

خاتمة

وفي نهاية هذه الدراسة والتي حاولنا من خلالها معالجة موضوع البحرية في الغرب الإسلامي "عهد المرابطين والموحدين" نموذجا، وبعد إطلاعنا على المصادر والمراجع ومختلف الدراسات استطعنا أن نتوصل إلى:

أولا: أن المحور الذي دارت عليه أحداث النزاع كان بحر الروم خاصة القسم الغربي منه الذي كان محط صراع وأنظار القوى المتنازعة فقد عالجت البحرية في المشرق وكيف نشأت على يد معاوية بن أبي سفيان والجدل الذي حصل معه مع الخليفة عمر بن الخطاب الذي كان يتهيب على المسلمين ركوب البحر لقلة خبرتهم ودرايتهم الكافية به عكس أعدائهم البيزنطيين والفرس والذين كما وصفهم ابن خلدون ومرباهم التقلب على أعواده أي أنهم متمرسون مهرة.

ثم انتقلنا إلى الجهود التي بذلها معاوية بن أبي سفيان بعد مصادقة الخليفة عثمان بن عفان، والفتوحات التي حدثت فيما بعد وكذا حركية النشاط البحري الذي عمل معاوية على بثها في دور الصناعة خاصة في كل من الشام ومصر...، ثم تطرقنا إلى البحرية في عهد الولاة المنشغلين بمشاكلهم في المشرق وكذا دويلات الأندلس التي أخذت هي الأخرى في التساقط والضعف وكل هذه الأوضاع وأخرى كان لزاما على الدولة الإسلامية في المغرب أن يكون لها أسطول يحمي حدودها وانتصاراتها.

ثانيا: فرضت الأوضاع نفسها وحدق الخطر بالجزيرة العربية مما ألزم قيام منقضين للوضع الراهن، فكانت دولة المرابطين ومن بعدهم الموحدين.

*قامت الدولة المرابطية على أسس دينية إصلاحية محضة ثم تدرجت إلى عدة مراحل لتصل إلى مرحلة التمكين والقوة وإعلاء الكلمة والصوت، صوت الإسلام والنصرة، على يد عدة فقهاء وزعماء فكانت هاته المرحلة مرحلة التوسع والقوة بقيادة يوسف بن تاشفين

الذي قام منذ تقلده العرش بعدة أعمال كالفتوحات الكثيرة وإنجازه لأسطول بحري قوي جاب سواحل المغرب والأندلس والمتوسط الغربي، هذا بالإضافة إلى مختلف الجوانب الحضارية التي ازدهرت ونمت بفضل الرخاء والأمن.

ثالثا: شهدت بلاد المغرب تعاقب عدة كيانات ودويلات متتالية، فعقب سقوط دولة المرابطين قامت الدولة الموحدية المؤمتية هي الأخرى على أسس دينية إصلاحية على يد زعيمها وفقيهها المهدي بن تومرت، الذي فرض هو الآخر كلمته وجعل له أتباعا، ليخلفه فيما بعد عبد المؤمن بن علي الكومي الذي قام هو الآخر بجهود جبارة توسعية عسكرية في سبيل إنماء قوته، كما سعى إلى بناء أسطول بحري فدعمه بما يلزم وبنى الكثير من الدور واستجلب الكثير من الصناع، فأصبحت دولته أعظم دولة في زمانه ودان له المغرب والأندلس ومن بعده أولاده غير أن سوء طالعهم كان في موقعة مشؤومة هي "واقعة العقاب" التي لم يقم للموحدين بعدها قائمة.

وعليه نستنتج من كل هذا وذاك أن الغرب الإسلامي اكتسب قوة بحرية قوية استطاعت أن تضاهي أقوى وأعتى أمم ذلك العصر، ووضعوا تحديات استطاعوا أن يتخطوها ويفوقوا مهرة الصّناع في الحرفة فكانت بحرية خلفاء يوسف بن تاشفين وأشرعة الدولة المؤمنية.

الملاحق

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع:

-**القرآن الكريم:** برواية حفص، شركة القدس للتصدير، القاهرة، 1414هـ.

قائمة المصادر:

*الأتابكي جمال الدين أبي المحاسن يوسف بن تغري بردي (ت 813هـ-874هـ)

1- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، تحقيق: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، د.ت، ج1.

*ابن الأثير أبو الحسن علين بن الأكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني (ت1232/600).

2- الكامل في التاريخ، تحقيق: أبي الفداء عبد الله القاضي، ط1، دار الكتب العلمية، لبنان، بيروت، 1407هـ-1987م، ج10.

*ابن أبي زرع أبو الحسن علي بن عبد الله الفاسي (كان حيا سنة 726هـ/1326م).

3- الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، دار المنصور، للطباعة والوراقة، الرباط، 1972.

*الإدريسي أبو عبد اله محمد بن محمد بن عبد الله بن إدريس الحموي الحسني (ت560هـ/1165م).

4- نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 1422هـ-2002م. مجلد1.

*البكري أبي عبيد (ت487هـ/1094م).

5- المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، د.ت.

*البلادوي أبو العباس أحمد بن يحي بن جابر (279هـ-892).

6- فتوح البلدان، تحقيق: عبد الله أنيس الطباع وعمر أنيس الطباع، مؤسسة المعارف، بيروت، لبنان، 1407هـ-1987م.

*البيذق أبو بكر بن علي الصنهاجي (ت555هـ/1160م).

7- أخبار المهدي بن تومرت وبداية دولة الموحدين، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، 1971.

*ابن عبد الحكم أبو القاسم عبد الرحمان بن عبد الله (ت257هـ-871م).

8- فتوح مصر والمغرب، تحقيق: عبد المنعم عامر، الذخائر، القاهرة، 2001، ج1.

*ابن خلدون أبو زيد عبد الرحمان بن محمد الحضرمي (ت808هـ-1405م).

9- كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، مراجعة: سهيل زكار، دار الفكر، د.م، 1421هـ-2000م، ج2-ج6.

*ابن الخطيب لسان الدين محمد بن عبد الله سعيد (ت776-1374).

10- تاريخ المغرب العربي في العصر الوسيط، القسم الثالث من كتاب أعمال الأعلام، تحقيق وتعليق: أحمد مختار العبادي ومحمد إبراهيم الكتاني، دار الكتاب، الدار البيضاء، 1964.

*ابن خلكان أبي العباس شمس الدين أحمد بن محمد (ت681هـ/1282م).

11- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، د.ت، مجلد 7.

*ابن سعد محمد بن منيع الزهري (ت 230هـ-844م).

12- الطبقات الكبرى، تحقيق علي محمد عمر، ط1، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1421هـ-2001م، ج3.

*السلاوي أبو العباس أحمد خالد الناصري (ت1315هـ/1897م).

13- الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، تحقيق وتعليق جعفر الناصري ومحمد الناصري، دار الكتاب، الدار البيضاء، 1418هـ-1997م، ج2.

*السيوطي جلال الدين عبد الرحمان بن أبي بكر (ت911/1501م).

14- تاريخ الخلفاء، ط2، مطبوعات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر، 1434هـ-2013م.

*ابن عذارى المراكشي أبو العباس أحمد بن محمد المراكشي (كان حيا 712هـ/1312م).

15- البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق ومراجعة: إحسان عباس، ط3، دار الثقافة، بيروت، لبنان، 1983، ج4.

*العمراني محمد بن علي بن محمد (ت580هـ-1184م).

16- الإنباء في تاريخ الخلفاء، تحقيق وتقديم: قاسم السامرائي، ط1، دار الآفاق العربية، القاهرة، 1419هـ-1999م.

*ابن غلبون أبو عبد الله محمد بن خليل الدرني الطرابلسي (ت1177هـ/1763م).

17- التذكار فيمن ملك طرابلس وما كان بها من الأخبار، تحقيق: الطاهر أحمد الزاوي، المطبعة السلفية، القاهرة، 1349هـ.

*ابن القطان أبو محمد حسن بن علي الكتامي (حي سنة 650هـ/1252م).

18- نظم الجمان لترتيب ما سلف من أخبار الزمان، تقديم وتحقيق: محمود علي مكي، ط2، دار الغرب الإسلامي، د.م، د.ت.

*ابن كثير أبو الفداء إسماعيل بن عمر القرشي الدمشقي (ت 774هـ/1373م).

19- البداية والنهاية، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، ط1، دار هجر، د.م، 1418هـ-1998م، ج10.

*محمول (حي سنة 783هـ/1381م).

20- الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية، تحقيق: سهيل زكار وعبد القادر زمامة، ط1، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، 1979.

*المقري أبو العباس أحمد بن محمد القرشي التلمساني (ت1041هـ/1632م).

21- نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب. تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، 1408هـ-1988م، ج4.

*ابن منظور أبو الفضل محمد بن مكرم الأنصاري الإفريقي ثم المصري (ت711هـ/1311م).

22- لسان العرب. تحقيق: عبد الله كبير وآخرون، دار المعارف، القاهرة، د.ت، مجلد 6.

*ابن صاحب الصلاة أبو مروان عبد الملك بن محمد الباجي (حي 594هـ/1198م).

23- تاريخ المن بالإمامة على المستضعفين بأن جعلهم الله أئمة وجعلهم الوارثين، تحقيق: عبد الهادي النازي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، د.ت.

*المراكشي أبو محمد بن علي التميمي عبد الواحد (ت647هـ/1249م).

24- المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تحقيق: محمد زينهم محمد عزب، دار الفرجاني، د.م، د.ت.

*ابن وردان.

25- تاريخ مملكة الأغالبة، تحقيق محمد زينهم محمد عزب، ط1، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1408هـ-1988م.

المراجع:

أ-الكتب المطبوعة:

26- أشباخ يوسف: تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين، ترجمة وتحقيق: محمد عبد الله عنان، ط2، مكتبة الخاتجي، القاهرة، 1417هـ-1996م، ج1، ج2.

27- أحمد عزيز: تاريخ صقلية الإسلامية، تعليق وتقديم: أمين توفيق الطيبي، الدار العربية للكتاب، د.م، 1389هـ/1980م.

28- إبراهيم حسن حسن وإبراهيم حسن علي: النظم الإسلامية، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة.

29- بركات وفيق: فن الحرب البحرية في التاريخ العربي الإسلامي، منشورات جامعة حلب، حلب، 1416هـ -1995م.

30- بلغيت محمد الأمين: الرُبُط بالمغرب الإسلامي ودورها في عصري المرابطين والموحدين -دراسة تاريخية حضارة- دار ابن حزم، بيروت، الجزائر، 1426هـ-2005م.

31- التازي عبد الهادي: التاريخ الدبلوماسي للمغرب من أقدم العصور إلى اليوم -عهد المرابطين- الهيئة العامة لمكتبة الإسكندرية، الإسكندرية، 1407هـ-1987م.

32- الجحماطي عبد السلام: دراسات في تاريخ الملاحة البحرية وعلوم البحار بالمغرب الإسلامي، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1971.

33- الجوهري يسرى: جغرافية البحر المتوسط، منشأة المعارف، الإسكندرية، 1984.

34- حركات إبراهيم: المغرب عبر التاريخ: طبعة 1420-2000، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، 1420هـ-2000م، ج1.

35- حسن حسن علي: الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس -عصر المرابطين والموحدين- ط1، مكتبة الخادجي، مصر، 1980.

36- الحموي محمد ياسين: تاريخ الأسطول العربي، دار فؤاد هاشم الكتبي، دمشق، 1364هـ-1945م.

37- خفاجي عبد المنعم وشرف عبد العزيز: معارك فاصلة في التاريخ الإسلامي، ط2، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، 1409هـ-1989م.

38- دندش عصمت عبد اللطيف: الأندلس في نهاية المرابطين ومستهل الموحدين -عصر الطوائف الثاني- ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1408هـ-1988م.

39- أبو رميلة هشام: علاقات الموحدين بالممالك النصرانية والدول الإسلامية في الأندلس، ط1، دار الفرقان، عمان، الأردن، 1404هـ-1989م.

40- زغروت فتحي: الجيوش الإسلامية وحركة التغيير في دولتي المرابطين والموحدين، ط1، دار التوزيع والنشر الإسلامية، مصر، القاهرة، 1426هـ-2005م.

41- زنيبر محمد: المغرب في العصر الوسيط، ط1، منشورات كلية الأدب، الرباط، 1420هـ-1999م.

42- سالم السيد عبد العزيز والعبادي أحمد المختار: تاريخ البحرية الإسلامية في المغرب والأندلس، د.ت، دار النهضة، بيروت، لبنان، 1969م.

43- سالم السيد عبد العزيز: تاريخ الإسكندرية وحضارتها في العصر الوسيط، د.ت، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 1982م.

44- تاريخ المغرب في العصر الإسلامي، مؤسسة شباب الجامعة، ط1، المركز الثقافي العربي، بيروت، 1999م.

45- السبتي عبد الأحد وفرحات حليمة: المدينة في العصر الوسيط، ط1، المركز الثقافي العربي، بيروت، 1994م.

46- سيسالم عصام سالم: جزر الأندلس المسنية، ط1، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، 1984م.

47- شبارو عصام محمد: الأندلس من الفتح العربي المرصود إلى الفردوس المفقود، ط1، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، 1423هـ-2002م.

48- علي محمد محمد الصلابي: تاريخ دولة المرابطين والموحدين في الشمال الإفريقي، ط3، دار المعرفة، بيروت، لبنان، 1430هـ-2009م.

49- الجوهر الثمين لمعرفة دولة المرابطين، ط1، دار التوزيع والنشر الإسلامية، مصر، القاهرة، 1424هـ-2003م.

50- أبو صوة محمد أحمد: دراسات في تاريخ البحر الأبيض المتوسط في العصر الوسيط، منشورات ELGA، فالينا، مالطا، 2000م.

51- طقوس محمد سهيل: تاريخ الخلفاء الراشدين الفتوحات والإنجازات السياسية، ط2، دار النفائص، بيروت، لبنان، 1432هـ-2011م.

52- الطيبي أحمد توفيق: دراسات وبحوث في تاريخ المغرب والأندلس، الدار العربية للكتاب، د.م، 1997، ج2.

53- عبادة عبد الفتاح: سفن الأسطول الإسلامي وأنواعها ومعداتها في الإسلام، مطبعة الهلال، مصر، 1913م.

54- العبادي أحمد المختار: في تاريخ المغرب والأندلس، دار النهضة العربية، بيروت، د.ت.

55- دراسات في تاريخ المغرب والأندلس، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، د.ت.

56- العدوي إبراهيم: الدولة الإسلامية وإمبراطورية الروم، ط1، دار رياض الصالحين، د.م، 1414هـ-1914م.

57- العروي عبد الله: مجمل تاريخ المغرب، ط2، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، 2000.

58- علي جواد: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ط2، مكتبة الإسكندرية، د.م، 1413هـ-1993م، ج7.

59- علي حجي عبد الرحمان: التاريخ الأندلسي من الفتح الإسلامي حتى سقوط غرناطة، ط2، دار القلم، دمشق، بيروت، 1402هـ-1981م.

60- عنان محمد عبد الله: دولة الإسلام في الأندلس عصر المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس، ط2، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1411هـ-1990م.

61- مواقف حاسمة في تاريخ الإسلام، ط5، ورثة المؤلف، د.م، 1417هـ-1997م.

62- الفقي عصام الدين عبد الرؤوف: تاريخ المغرب والأندلس، مكتبة نهضة الشرق، القاهرة، 1984م.

63- القرقوطي محمد الهادي محمد: جهاد الموحدين في بلاد الأندلس، دار هومة، بوزريعة، الجزائر، 2005.

64- لويس أرشيبالد: القوى البحرية والتجارية في حوض البحر المتوسط، ترجمة ومراجعة: محمد عيسى ومحمد شفيق غربال، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، د.ت.

65- مارسيه جورج: بلاد المغرب وعلاقاتها بالمشرق الإسلامي في العصور الوسطى، ترجمة ومواجهة: محمود عبد الصمد هيكل ومصطفى أبو ضيف أحمد، منشأة المعارف، الإسكندرية، 1999.

66- محمد حسين حمدي عبد المنعم: التاريخ السياسي والحضاري للمغرب والأندلس – عصر المرابطين والموحدين– ط1، مكتبة الخانجي، مصر، 1980.

67- المنوني محمد: حضارة الموحدين، ط1، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، 1989.

68- محمود حسن أحمد: قيام دولة المرابطين صفحة مشرقة من تاريخ المغرب في العصور الوسطى، دار الفكر العربي، القاهرة، د.ت.

69- مرعي خلف الله ابتسام: العلاقات بين الخلافة الموحدية والمشرق الإسلامي، دار المعارف، د.م، 1405هـ–1985م.

70- المغراوي أحمد: الموحدون وأزمات المجتمع، ط1، جذور للنشر، د.م، 2006.

71- موسى عز الدين عمر أحمد: دراسات في تاريخ المغرب الإسلامي، ط1، دار الشروق، بيروت، 1403هـ–1983.

72- الموحدون في الغرب الإسلامي تنظيماتهم ونظمهم، دار الغرب الإسلامي، الرياض، د.ت.

ب–المجلات والدوريات:

73- الديملي ياسين أحمد صالح: "دور البحرية الإسلامية في فتح الأندلس"، **مجلة العلوم الإسلامية**، العدد6، 1431هـ.

74- العزام طارق محمد والروسان محمد علي: "نشأة وتطور الأسطول الإسلامي زمن الخليفة عثمان بن عفان"، **مجلة مشاكاة للعلوم الإنسانية والاجتماعية**، العدد 1، 1426هـ–2015م.

75- قنبر علي إلياس: "بنو ميمون قادة الأسطول المرابطي والموحدي (508-599هـ/1115-1202م)، **مجلة أبحاث كلية التربية الأساسية** ، العدد2، المجلد10، جامعة الموصل، 2010.

ج-المذكرات والأطروحات الجامعية:

76- بولعراس خميسي: فن الحرب بالغرب الإسلامي خلال عصري المرابطين والموحدين، رسالة دكتوراه، جامعة الحاج لخضر، باتنة، الجزائر، 1434هـ1435هـ/2013م-2014م.

77- حروز عبد الغني: المذهب الأشعري في بلاد المغرب الإسلامي خلال القرنين 5-7 هـ/11-13م، أطروحة دكتوراه، المدرسة العليا للأساتذة، بوزريعة، الجزائر، 1436هـ-1437هـ/2015م-2016م.

78- عشي علي: التوجه البحري للمغرب الأوسط وأثره في طرق التجارة والمواصلات (2-10هـ/8-16م) أطروحة دكتوراه، جامعة باتنة1، الجزائر، 2016-2017.

79- مزاري عبد الصمد توفيق: الجهاد البحري في عهد المرابطين والموحدين، أطروحة دكتوراه، جامعة الجزائر، الجزائر، 1428-1429هـ/2007-2008م.

د-الأطالس والموسوعات:

80- المغلوث سامي بن عبد الله بن أحمد: أطلس الخليفة عثمان بن عفان، ط1، مكتبة العبيكان، الرياض، 1427هـ-2006م.

81- الخوند مسعود: الموسوعة التاريخية الجغرافية، لبنان، ج9.

الفهارس

1- فهرس الآيات القرآنية

2- فهرس الأعلام

3- فهرس الجماعات والشعوب والقبائل

4- فهرس المواقع والأمكنة والبلدان

5- فهرس الملاحق

6- فهرس الموضوعات

1-فهرس الآيات القرآنية:

السورة	الآية	نص الآية	الصفحة
سورة النحل	الآية 14	"وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ البَحْرَ لتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًا وَتَسْتَخْرِجُواْ مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَكُمْ تَشْكُرُونَ".	12
سورة الأنفال	الآية 60	"وَأَعِدُوْا لَهُمْ مَا اِسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَةٍ ومِنْ رِبَاطِ الخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللهِ وَعَدُوَكُمْ".	12
سورة البقرة	الآية 249	"كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلبَتْ فِئَةٍ كَثِيرَةٍ بإذْنِ اللهِ والله مَعَ الصَابِرِينَ".	20

2-فهرس الأعلام:

*الله عز وجل:

*محمد صلى الله عليه وسلم:

-أ-

- إبراهيم بن همشك:
- أحمد الصقلي:
- إسحاق بن علي بن يوسف بن تاشفين:
- أسد بن الفرات:
- إفريقش بن أبرهة:
- ابن الأحمر:
- أبي بكر الطرطوشي:
- أبي بكر بن علي بن يوسف اللمتوني:
- أبي حامد الغزالي:
- أبي الحسن علي:
- ابن خلدون:
- أبي خلكان:
- ابن تفرطاس:
- ابن طاع الله الكومي:
- أبا سليمان داوود بن عائشة:
- أبو بكر بن العربي المعافري:
- أبو بكر بن عمر:
- أبو جميل زيان بن أبي الحملات:
- أبو جهور:
- أبو الدرداء:
- أو در:
- أبو السداد:

– أبو فارس عبد العزيز الملزوزي:
– أبو عبد الله محمد بن يوسف بن هود:
– أبو عبد الله الناصر:
– أبو عبد الله بن تومرت:
– أبو يعقوب يوسف:
– أبو محمد بن مزدلي:
– أم حرام بنت ملحان:
– البحر:
– البيذق:
– الزبير بن بكار:
– الفونسو الثامن:
– الفونسو السادس:
– المعز البرغواطي:
– المعز بن باديس:
– المعز بن يوسف بن تاشفين:
– المعتصم بن صمادح:
– الفردبل:
– العلاء الحضري:
– المعتمد بن عباد:
– المقري:
– الربرتير:
– المقتدر بن هود:

–ت–

– تاشفين بن علي:
– ترجوت بن ورتاسن:
– تميم بن المعز:

-ج-

- جرجي الأنطاكي:
- جيسكارد:
- جيراردو:

-ح-

- حسان بن النعمان:

-ر-

- روبينيو:
- روجار الأول:

-س-

- سقوط البرغواطي:
- -سير بن أبي بكر:

-ش-

- شداد بن أوس:
- شرف الدين قراقوش:

-ص-

- صلاح الدين الأيوبي:

-ع-

- عبد الرحمان الناصر:
- عبد السلام الجعماطي:
- عبد المؤمن:
- عبد الله المرتضي:
- عبد الله بن أبي سرح:
- عبد الله بن سليمان:
- عبد الله بن قيس:
- عبد الله بن ميمون:

- عبد الله بن باديس:
- عبيد الله البكري:
- عبادة بن الصامت:
- عثمان بن عفان:
- عرفجة بن هرثمة:
- عقبة بن نافع:
- علقمة بن مجزر المدلجي:
- علي بن أبي طالب:
- علي بن عيسى بن ميمون:
- علي بن مجاهد:
- عمر بن الخطاب:
- عمر بن العاص:
- عيسى بن ميمون:

-غ-

- غانم بن مردنيش:

-ف-

- فاختة:

-ق-

- قنسطانز الثاني:

-ل-

- لُب بن ميمون:
- لذريق النصراني:

-م-

- محمد الأمين بلغيث:
- محمد بن سعد بن مردنيش:
- محمد بن عبد الله بن هود:

– محمد بن ميمون:
– مجاهد العامري:
– معاوية بن أبي سفيان:
– منصور:

–ي–

– يحي بن أبي زكريا الهزرجي:
– يحي بن إبراهيم الجدالي:
– يحي بن عبد العزيز:
– يعقوب المنصور:
– يوسف أشباخ:
– يوسف بن عبد المؤمن:

3–فهرس الجماعات والشعوب والقبائل:

–أ–

– أزيلي:
– آسافو:
– أوليل:
– الأغالبة:
– الأمويون:
– الإسبان:
– الأندلسين:
– الأقباط:
– الجلالقة:
– الحماديين:
– الكلبية:
– البربر:
– الخوارج:

- العرب:
- البيزنطيين:
- المسلمين:
- الميورقيين:
- الفرنج:
- المصامدة:
- الروم:
- الموحدون:
- النصارى:
- المرابطين:
- المصريين:
- الصقليين:
- اللمتونيين:
- الوثنيين:
- الملثمين:

-ب-

- بنو غانية:
- بني عباد:

-ح-

- حمير:

-ت-

- تارودانت:

-د-

- دمشق:
- درن:

-ز-

– زناتة:

–ص–

– صنهاجة:

–ك–

– كدالة:

– كتامة:

–ل–

– لمتونة:

–م–

– مسوفة:

– مسطاسة:

–هـ–

– هرغة:

4–فهرس المواقع والأمكنة والبلدان:

–أ–

– الأناضول:

– إفريقية:

– أنطاكية:

– آسيا الصغرى:

– إيطاليا:

– أغمات:

– إفريقيا:

– ألمرية:

– أوربا:

– أرواد:

– آسيا:

- أمريكا:
- أشونة:
- إشبيلية:
- إسبانيا:
- استرويش:
- أودغشت:
- الشام:
- المغرب:
- المغرب الأدنى:
- الأفرنجة:
- الأردن:
- البحر المتوسط:
- السلاف:
- القسطنطينية:
- البلقان:
- الحامة:
- الإسكندرية:
- البحر الأحمر:
- الحوض الشرقي للمتوسط:
- الحوض الغربي للمتوسط:
- الونشريس:
- الجزائر:
- المشرق:
- الصحراء:
- الصحراء الكبرى:
- الصحراء الغربية:

- البليار:
- المحيط الأطلسي:
- القيروان:
- المهدية:
- المغرب الأقصى:
- المغرب الأوسط:
- الجزيرة الخضراء:
- المغرب العربي الكبير:
- السدير:
- الدولة الفارسية:
- الأندلس:
- الجريد:
- ألمانيا:
- الرباط:
- المعمورة:
- الشمال الإفريقي:
- السودان:
- البرتغال:
- اللج:

-ب-

- باجة:
- بطليوس:
- بادس:
- برغواطة:
- برشلونة:
- بلنسية:

– بروفانس:
– بيزا:
– بانتلاريا:
– بيت المقدس:
– بجاية:
– بحر الروم:
– برقة:
– بيروت:
– بعلبك:
– بحر الأرخبيل:
– بيزنطة:
– بحر الظلمات:

–ت–

– تنس:
– تندوف:
– ترشيش:
– تونس:
– توزر:
– تبسة:
– تلمسان:
– تادلة:
– تهودا:

–ج–

– جنوة:
– جبل طارق:
– جربة:

- جيان:
- جبيل:
- جزر الحوض الشرقي للمتوسط:
- جليقية:
- جيجل:
- جبال البيض:
- جزيرة أقريطش:
- جرسيف:

-ح-

- حمص:

-خ-

- الخرز:

-د-

- درعة:
- دانية:

-س-

- سبتة:
- سوسة:
- سلا:
- سردانية:
- سجلماسة:
- سورية:
- سرقسطة:
- سوقة:

-ش-

- شريش:
- شلف:
- شرشال:
- شاطبة:
- شلبطرة:
- شنترين:
- شلب:

-ص-

- صفاقس:
- صقلية:
- صيدا:

-ط-

- طلياطة:
- طريف:
- طنجة:
- طرطوشة:
- طليطلة:
- طرابلس:

-ع-

- عرقة:
- عكا:
- عمرة:

-غ-

- غرناطة:
- غمارة:

-ف-

- فاس:
- فونكس:
- فرنسا:
- فلسطين:

-ق-

- قبرص:
- قنسرين:
- قوصرة:
- قرطبة:
- قابس:
- قصر أبي دانس:
- قشتالة:
- قادس:
- قسنطينة:
- قلعة بني حماد:
- قرمونة:
- قلصة:
- قصر الخرونق:
- قصر السرير:
- قلورية:
- قطرون:

-ك-

- كورفو:
- كريت:
- كلابريا:

– كورسيكا:

–ل–

– لمطة:

– لبلة:

– ليون:

– لوني:

–م–

– مصر:

– ماسة:

– مرسيليا:

– موريطانيا:

– مرج الرقاد:

– مسوفة:

– مسطاسة:

– مليلة:

– مكناسة:

– مراكش:

– مرسية:

– مضيق جبل طارق:

– مالطا:

– ميورقة:

– مالقة:

–ن–

– نول:

– نكور:

– نقوطرة:

– نفيس:
– نفوشة:
– نفطة:

–هـ–

– هسكورة:

–و–

– وهران:
– وجدة:

–ي–

– يابسة:

5-فهرس الملاحق

رقم الملحق **الصفحة**

الملحق رقم 01: رسم لخريطة المغرب على عهد المرابطين 84

الملحق رقم 02: مشهد لجدار مرابطي في اشبيلية 85

الملحق رقم 03: خريطة سير وموقع معركة الأرك.....86

الملحق رقم 04: خريطة موقع وسير معركة العقاب.....87

الملحق رقم 05: مشهد لأسطول عربي يهاجم.....88

الملحق رقم 06: صورة تمثل منجنيق لرمي النفط.....88

الملحق رقم 07: صورة توضح منجنيق لرمي الحجارة والنفط.....89

6-فهرس الموضوعات

-شكر وعرفان

الإهداء

مقدمة.....1

الفصل التمهيدي نشأة البحرية في المشرق وانتقالها إلى المغرب.....10

الفصل الأول: البحرية في العهد المرابطي

1-نشأة الدولة المرابطية 30

1-1-النواة الأولى لتأسيس دولة المرابطين. 33

1-2-المظاهر الحضارية لدولة المرابطين.....34

2-البحرية على عهد المرابطين. 37

2-1-الأسطول المرابطي في الأندلس والجزر الشرقية.....40

2-2-جهاد الأسطول المرابطي في الجزر الشرقية.....44

2-3-حماية السواحل المغربية من الأطماع النورمانية وغزو صقلية.....47

2-4-نظم البحرية في العهد المرابطي.....48

3-إدارة المعركة البحرية. 57

الفصل الثاني: البحرية في العهد الموحدي.

1-نشأة الدولة الموحدية:.....59

1-1-المظاهر الحضارية.....63

2-البحرية في العهد الموحدي.....65

2-1-نظم البحرية في العهد الموحدي.....73

3-أسلوب فن الحصار العربي -مقارنة-. 79

خاتمة.....81

الملاحق.....84

قائمة المصادر والمراجع. 91

الفهارس.....100

1- فهرس الآيات القرآنية.....101

2- فهرس الأعلام.....102
3- فهرس الجماعات والشعوب والقبائل.....106
4- فهرس المواقع والأمكنة والبلدان. 108
5- فهرس الملاحق.....117
6- فهرس الموضوعات.....118